الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مُحَّد البشير الإبراهيمي– برج بوعريريج

كلية الآداب و اللغات

قسم: اللغة و الأدب العربي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي

ميدان: لغة و أدب عربي

تخصص: نقد حديث و معاصر

بعنوان:

التأويل التقابلي عند محمد بازي

المنطلقات والآفاق في ضوء نقد النقد

إعداد الطالبة:

مونية هراوة

إشراف الدكتور:

البشير عزوزي

لجنة المناقشة:

اللقب و الاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد المالك بلميهوب	أستاذ محاضر– أ–	جامعة مُحَّد البشير الإبراهيمي– برج بوعريريج	رئيسا
البشير عزوزي	أستاذ محاضر أ	جامعة مُحَّد البشير الإبراهيمي– برج بوعريريج	مشرفا ومقرّرا
منير بوزيدي	مساعد –ب–	جامعة مُحَّد البشير الإبراهيمي– برج بوعريريج	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445–1446–/2024– 2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج

تصريح بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي (ة) أسفله،

السيد (ة) .حوبيلة حمزة..... الصفة: طالب (ة)

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 114656945.41 والصادرة بتاريخ: 13.05.2019

والمكلف (ة) بإنجاز مذكرة ماستر،

عنوانها:

التأويل التقابلي عند محمد بارودي لخطابات
والأغاني في ضوء نقد النقد

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 03/07/2024

توقيع المعني (ة)

Scanné avec CamScanner

شكر وتقدير

قال تعالى ﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾

أشكر الله وأحمده حمدا كثيرا مباركا على هذه النعمة الطيبة والنافعة نعمة العلم والبصيرة.

أما بعد يشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى الأستاذ المشرف:" بشير عزوزي" على

تفضله بالإشراف على هذه المذكرة وكل المجهودات التي بذلها.

كما لا أنسى أن أتقدم بالسكر أيضا لأعضاء اللجنة على قبولهم مناقشة هذه المذكرة.

إهداء

من قال أنا لها .... نالها.

وأنا لها وإن أبت رغما عنها أتيت بها.

نلتها وعانقت اليوم مجدا عظيما لم يكن الحلم قريبا ولا الطريق سهلا ولكن... وصلت.

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا. الحمد لله الذي بفضله أدركت أسمى الغايات.

أهدي بكل حب مذكرة تخرجي إلى نفسي العظيمة الفتية التي تحملت كل العثرات وأكملت رغم الصعوبات. إلى أعظم أشخاص وأعز الناس على روحي، داعمي الأول، سندي وملاذي بعد الله، فخري واعتزازي... أمي وأبي.

إلى من دامت لي أياديهم وقت ضعفي إلى ضلعي الثابت وأمان قلبي... إخوتي: سعاد، هواري، لبنى، وليد، النسيمة.

إلى من ساندتني بكل حب وقت ضعفي... صديقتي وأختي التي لم تلدها أمي:" نعيمة".

إلى كل من أعطاني يد العون من قريب أو بعيد وساعدني في هذا المشوار.

مقدمة:

مقدمة:

بسم الله الذي خلق الإنسان علمه البيان ووهبه التمايز والحكمة وكرمه على سائر مخلوقاته، فالحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه إلى يوم الدين وبعد:

في الوقت الذي شهد التأويل في الفكر الغربي منعطفات كثيرة شكلت مسارات متجددة تشق طريقها إلى مدافن المعاني في النص، فينفخ فيها الروح لتحيا من جديد وتبوح بالأسرار نجد أن التأويل في الفكر العربي ظل يتخبط بين استيراد النظريات الغربية الجاهزة ومحاولة تكييفها مع طبيعة النص العربي، والدعوة إلى إيجاد نظريات عربية أصيلة تنبثق من عمق التراث كامتداد طبيعي يتواصل مع نتاج القدامى فيستثمره لقراءات النصوص كبديل ينسجم بجهازه المفاهيمي مع خصوصيتها عن كل مستورد هجين.

وفي ظل انتظار المشاريع الجادة والأصيلة، يأتي مشروع محمد بازي من بين المشاريع التي تسعى إلى تأسيس تأويلية عربية تمتد جذورها إلى عمق التراث وتشمخ بأغصانها إلى آفاق واعدة بكشف دفائن النص، وهذا من خلال نظرية:" التأويل التقابلي" التي كانت محطة البداية فيها بالتأويلية العربية كنموذج تساندي تتكامل فيه الدوائر صغرى (النصية) مع الدو ائر الكبرى (سياقية) وكان التأويل التقابلي حينها محطة من محطتها ليطب الباحث بنفسه التأويل التقابلي على نصوص مختلفة وبعد هذا المخاض نشهد مولد النظرية.

تكمن أهمية هذا الموضوع في جدته وحداثته خاصة في الفكر العربي المعاصر، ومن هذا المنطلق اخترت موضوع بحثي الموسوم ب:" التأويل التقابلي عند محمد بازي المنطلقات والآفاق في ضوء نقد النقد"، الذي حاولت من خلاله الإجابة عن الإشكالية الأساسية:

- ما هي الأسس المعرفية لنظرية التأويل التقابلي؟
- ما هي الرهانات المعنوية التي تراهن عليها نظرية التأويل التقابلي؟

أما السبب الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع يرجع إلى عدة أسباب منها ما هو ذاتي ومنها هو موضوعي، أما الذاتي فيرجع إلى ميولي الخاص واهتمامي الشخصي بمثل هذه المواضيع خاصة بما يتعلق بمواضيع الفكر العربي الإسلامي في ظل صلته بالفكر الغربي، وذلك بتحديد الحدود الإبستمولوجية للعقل العربي المعاصر ومعرفة مدى تأثير الفكر الغربي عليه، إضافة إلى رغبتي في معرفة فكر محمد بازي، أما الموضوعية فتتمثل فيما أحدثه فكر محمد بازي في الأوساط الفكرية وما نتج عنه من تعالي في الأصوات حول فكره.

يرجع الهدف من هذه الدراسة إلى الكشف عن الأسس المعرفية لهذه النظرية وكذا الرهانات التي تقدمها للكشف عن معاني هذه النصوص.

واعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي سمح لي بفهم فكر محمد بازي والتركيز على جهوده التأويلية في الفكر العربي.

تشكل البحث من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، أما الفصل الأول عبارة عن مدخل تنظيري جاء بعنوان:" البلاغة والتأويل المصطلح والمفهوم" من خلاله حاولنا الإحاطة بأهم المفاهيم التي تندرج ضمن الموضوع هذه الدراسة، بداية بتحديد مفهوم البلاغة مرورا بالتأويل وصولا إلى التأويل التقابلي، أما الفصل الثاني المعنون ب:" مطارحات نظرية"، عرضنا من خلاله أهم وأبرز المسالك التي عرضها محمد بازي في كتابه التأويل التقابلي منهم: مقدمات لنظرية تأويلية تقابلية موسعة، سيمياء التقابل وكيمياء التأويل، الفهم بالتقابلات، الأسناد المعرفية لمدنظرية التقابل، والأساس التقابلي في البلاغة العربية، انطلاقا لبناء أطروحة التقابل الكونية ونظرية النص المتقابل ونموذج التأويل بالمقابل من مجموعة من الافتراضات ثم حاولت التأكد منها عبر مسالك البحث النظري وهي مسالك تتفرع من نقطة مركزية وهي التقابل ثم تمتد عبر مدارات العلوم والمعارف والأسناد المرجعية.

أما الفصل الثالث الموسوم ب:" الآليات القرائية لأطروحة التقابل" في كتاب تقابلات النص وبلاغة الخطاب لمحمد بازي وهو عبارة عن جانب تطبيقي حيث انصب اهتمام

الباحث على دراسته مجموعة من الخطابات، حيث اتجه نحو سبر أغوار معاني الخطاب القرآني ذلك من خلال إعادة بناء معاني سورة الفاتحة ثم بلاغة الحجاج عند الإمام أبي حامد الغزالي في كتابه:" إحياء علوم الدين"، وأيضا طبق على النص الشعري في شقيه القديم والحديث بهدف الوقوف على بلاغته، ثم وظف المقاربة نفسها في تحليل الخطاب التأويلي عند كل م عبد الفتاح كيليطو ومحمد مفتاح.

هذا وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المؤلفات، كانت مصدرا لجل المعلومات المدرجة فيه، وإن اوردناها فهي على سبيل الذكر لا الحصر منها:

- نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب.
- تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو التأويل التقابلي.

وكأي بحث لابد أن تكون هناك بعض الصعوبات والعراقيل التي يواجهها الطلبة، فمن بين الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث منها ما هو منهجي ومنها ما هو فني، أما المنهجي فيتمثل في صعوبة الإلمام بنسق المطلوب لتوضيح الإشكالية وذلك نظرا لموسوعية فكر محمد بازي، أما الفني فهو مرتبط بمحمد بازي بحد ذاته وبالتحديد راجع إلى تشعب فكره مما صعب علي الإحاطة به.

وفي الأخير نشكر الله تعالى الذي وفقني لإنجاز هذا البحث ثم الشكر للمشرف الذي مد لنا يد العون والشكر موصول إلى لجنة المناقشة التي تكبدت عناء قراءة هذا البحث، ونسأل الله أن يوفقني ويسدد قولي وفعلي.

مدخل

البلاغة والتأويل المصطلح والمفهوم

مدخل:

لا يمكن الدخول إلى أي علم دون تحديد أهم المصطلحات التي تشكل حيزه المعرفي فالمصطلحات هي مفاتيح العلوم، ومن حدد مصطلحات العلم أدرك جانبا كبيرا منه.

أو ما نلاحظه ونحن نطرق باب مصطلح" بلاغة التأويل" هو أنه من المصطلحات المركبة، فهو يتكون من مصطلحين بارزين في الفكر الإنساني هما: البلاغة والتأويل، ولا يمكن تحديد هذا المصطلح المركب إلا بالتعريج على ما يحيل إليه المصطلحان المشكلان له، ومن هنا ستكون هذه المحاضرة مهادا تأصيليا لبلاغة التأويل، وسنبسط القول فيها ليتضح لنا من خلالها مبررات وجود بلاغة التأويل.

أولا البلاغة لغة واصطلاحا:

1-1 البلاغة لغة:

" البلاغة من بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلّغها غيري ومبلغ الشيء منتهاه والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، سميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، كما سميت بلاغة لأنك تتبلغ بها فتنتهي بك إلى ما فوقها وهي البلاغ أيضا ويقال الدنيا لاغ لأنها تؤدي بك إلى الآخرة والبلاغ أيضا التبليغ[1]"، جاءت في القرآن الكريم مفردة بلاغ ويظهر ذلك في قوله تعالى﴿**هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [2] ، أي يتبلغون به ويتزودون إلى الوصول لأعلى المقامات وأفضل الكرامات.

1-2 البلاغة اصطلاحا:

هناك تباين وتفاوت في التسمية وذلك نتيجة تعدد أساليب الترجمة (الضمنية والمعرفية)، والتوليد المصطلحي المتعدد عند العرب خاصة، حيث لا يلبث النقاد على نمط تعبيري واحد وهذا بالتحديد ما أقره ابن فارس قائلا:" إنه لم يبلغنا أن قوما من العرب في

---

(1)- أبي هلال العسكري، الصناعتين للكتابة والنشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401هـ، 1981م، ص15.

(2)-سورة إبراهيم، الآية: 52.

زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنا نستدل على اصطلاح كان قبلهم"،[1] وهذا ما أعلن بطريقة أو بأخرى ظهور فوضى أو إشكالية التعدد المصطلحي، واذا رجعنا إلى المدلول الاصطلاحي لمصطلح النهضة فنجدها كما قال فيها الرماني:" إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"، وجاد في تعريفها القزويني بقوله:" هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[2].

وهي كما قال الآمدي أنها:" إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة، سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصاناً يقف دون الحاجة[3] "

ومن خلال ما تقدم من التعريفات نلاحظ أنها جميعا تقوم على أساسي اللفظ والمعنى، فأغلب التعريفات تؤكد أن البلاغة هي إيصال المعنى المراد إلى قلب السامع، مع التعبير عنه بأسلوب جميل باستثناء تعريف القزويني الذي أكد أن البلاغة هي مناسبة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

ثانيا التأويل لغة واصطلاحا:

قبل الدخول في مفهوم التأويل ينبغي الإشارة إلى أن هذا المفهوم يختلف باختلاف المناهج والأعلام وهو من أكثر المفاهيم غموضا واختلافا، وسأحاول أن أقدم فكرة موجزة عن التأويل لغة واصطلاحا.

1-2 المعنى اللغوي للتأويل:

من الناحية اللغوية يعتبر التأويل ظاهرة لها أهمية في تاريخ الفكر الإنساني بصفة عامة وفي تاريخ الفكر العربي بصفة خاصة، هذا وقد كان للتأويل خصوصية في تاريخ

(1)-عبد الرحمان الثعالبي، الصحابي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، د ط، مكتبة المعارف، ص38.
(2)-مهدي صالح السمراني، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، المرجع السابق، ص292.
(3)-المرجع نفسه، ص291.

الفكر الإسلامي ولا يزال ليومنا هذا، وذلك يرجع إلى محاولة الناس فهم النصوص الدينية في الكتب السماوية، وقد جاءت لفظة التأويل بمعاني عدة أهمها:

- **التفسير والتدبر**: يذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210) صاحب مجاز القرآن أن:" التفسير والتأويل بمعنى واحد فتقول: تأولة في فلان الأمر أي تحريته وتدبرته"[(1)] والمعنى هنا أن التأويل عند الصحاة والتابعين لا يخرج عن معنى التفسير والتدبر، ومن هذا المفهوم كانت" دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس: اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل"[(2)].

- **العاقبة**: جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت395): أن التأويل يعني الرجوع ويضيف ابن فارس معنى آخر، فيذهب إلى أن تأويل الكلام هو العاقبة، ويستدل في ذلك بقوله تعالى:﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ**﴾[(3)].

- **الرجوع**: جاء في معجم تهذيب اللغة للأزهري (ت370هـ) أن الأول هو الرجوع، وقد آل يؤول أولا أي رجع"،[(4)] وعلى هذا يكون التأويل مأخوذًا من الأول بمعنى الرجوع، فكأن المؤول أرجع الكلام إلى ما يتحمله من معانٍ.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن مدلول التأويل في المعاجم اللغوية لا تخرج من معاني: التفسير، الرجوع، العاقبة، ومن الملاحظ أن هذا المعنى قد صاحب الخطاب الديني منذ بداية الوحي، ومحاولة المسلمين فهم القرآن فهما صحيحا يمكنهم من استنباط أحكامه.

---

(1)-ابو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سركيس، طبعة الخانجي، القاهرة، 1954م، ص18.

(2)-ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، المطبعة الأزهرية، القاهرة، 1301هـ، ص 62.

(3)-سورة الأعراف، الآية 53.

(4)- الأزهري: معجم تهذيب اللغة، تح: عبد السلام هارون، ط1، القاهرة 1964م، ص296.

2-2 التأويل اصطلاحا:

إن عملية التأويل نشاط يتسم بالجهد والتأني والنظرة الفاحصة:" إن الدائرة التأويلية تعني أن عملية فهم النص ليست غاية سهلة، بل عملية معقدة مركبة، بيد أن المفسر فيها من أي نقطة يشاء، لنك عليه أن يكون قابلا لأن يعدل فهمه طبقا لما يسفر عنه دورانه في جزئيات النص وتفاصيله وجوانبه المتعددة التي أشار إليها "شليرماخر"، وما دامت مهمة الهرمنيوطيقا هي وضع المعايير والقواعد، فإن "شليرماخر" يكتفي بوضع المعايير العامة التي يراها ضرورية لتجنب سوء الفهم، ولكنه في جانب آخر يرى أن:" نظرية التأويل رغم كل التقدم الذي أصابها إلا أنها ما تزال بعيدة على أن تكون فنا مكتملا"، ويؤكد بالدرجة نفسها استحالة أن يستطيع أي تفسير لعمل ما استهلاك كل إمكانيات معنى هذا العمل"،[1] ذلك كون النص يكتنفه التعقيد والغموض لهذا وجدت نظرية التأويل.

وعليه فتطوير المنهج التأويلي أمر لا جدال فيه، وبالتالي لابد من التعامل مع النص بآليات وقواعد ونظم هرمنيوطيقية فاعلة، وبالرغم من ذلك لا يستفيد النص من دلالاته، ويبقى عصيا عن التأويل النهائي.

نظرية التأويل تتكئ على المؤلف وما يقصده من نصه الأدبي لكن استقرت مؤخرا على النص والقارئ أيضا، كون النص في كل مرة يقرأ من جديد لهذا السبب تداخلت التأويلية مع نظرية القراءة والتلقي، كون التأويل لا حدود له وهذا ما جعل النص يعرض لأكثر من قراءة، ذلك أن النص له البنية السطحية الأولى التي يتلقى معها القارئ، ولا وجود لأي تأويل من غير نص وبنى لغوية ينطلق منها القارئ له من الخصائص والمواصفات التي تؤهله للمواجهة.

تنوعت مواقف نظرية التأويل، فالهرمينيوطيقا:"... لم تملك أرضية خاصة بها، وإنما تباحث المعنى وإدراكه حيثما حل، أما فيما يخص النقد الأدبي عند من تبنوا نتائجها ومنهجيتها المختلفة، فقد ركزت الهرمينيوطيقا على المؤلف كمصدر للمعنى وهذا ما تبناه النقاد التقليديون– بما فيهم قادة النقد الجديد– وفلاسفة اللغة من غير أنصار ما بعد البنيوية،

[1]-نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وأليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط7، المغرب، 2005م، ص22-23.

لكن فرضية تحكم المؤلف بالمعنى تعرضت حديثا إلى نقلة عنيفة... أرست المعنى على النص أو على القارئ أو على الإثنين معا، ترفض هذه التوجهات ارتباط النص أو معناه بالمؤلف أو قصده، كما ترفض مفهوم المعنى(المحدد) والتأويل الصحيح، وتدعوا إلى لا محدودية المعنى"[1].

حيت يبدأ النص يأخذ تأويلات تتعدد بتعدد السياقات هذا كله راجع إلى نشاط تأويلي بالتعمق في البنى لكشف الدوال الثاني وفك الشفرات وانفتاح الخطاب الأدبي على السياق بكل مكوناته التاريخية والفكرية وظروف الزمان والمكان.

2-3 التأويل في القرآن الكريم:

معنى التأويل في القرآن الكريم لا يختلف عن معناه في اللغة، والمتأمل للقرآن الكريم يجد هذه اللفظة يجد أنها ذكرت في سبع سور وتكررت فب بعض الصور أكثر من مرة، ومن بين هذه السور نجد: سورة يوسف والكهف، أما عند السلف فنجدها بمعنى التفسير.

- **التأويل في سورة آل عمران:** قال تعالى ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أُمُّ الكتاب وأُخر متشابهات فأمَّا الذين في قلوبهم زيغٌ فيتَّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والرَّاسخون في العلم يقولون آمنَّا به كلٌّ من عند ربنا وما يذَّكَّر إلا أُولو الألباب**﴾[2].

هل الوقف على لفظ الجلالة" الله"؟ في قوله ﴿وما يعلم تأويله إلا الله ﴾، أو الوقوف على قوله تعالى ﴿والرَّاسخون في العلم﴾، فالتأويل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى دون ما سواه، ثم هناك طائفة بعد الله سبحانه يجتهدون في تفسيره، والاستنباط منه ما ينفع الخلق، وقد انقسم الرأي إلى قولين في هذه الآية أما الرأي الأول" فقد ذهب أصحابه إلى الوقوف على لفظ الله، وبه قالت عائشة رضي الله عنها وابن عباس وأُبي بن كعب وعبد الله بن

[1]-ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأذلي، المركز الثقافي العربي، ط3، لبنان، 2003م، ص64.
[2]- سورة آل عمران الآية: 07.

مسعود وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس، وغيرهم، هؤلاء من السلف أوقفوا التأويل القرآن على الله عز وجل فقط.

أما الرأي الثاني:" الوقف عند قوله تعالى ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ وبهذا القول قال ابن عباس فيما نقله عنه مجاهد، وجماعته من الصحاة أنه قال:" أن من الراسخين الذين يعلمون تأويله"، فيعنى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما التفسير والبيان.

وقال مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله يقولون آمنا به، ومن العلماء من فصل في هذا المقام، وجمع بين القولين السابقين لا سيما وأن بعض الصحابة كغبن عباس رَد رضي الله عنه القولان[1].القول الثاني الذي ذكر تأويله هو:

- **التأويل في سورة النساء**: تظهر كلمة التأويل في سورة النساء في قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كتم مؤمنين بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾.[2]

أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن مجاهد أنه قال في تفسير ﴿وأحسن تأويلا﴾ أحسن جزاء، وقال قتادة: أحسن ثوابا وخير عاقبة، وقال السدي: عاقبة: فالخير كل الخير النجاة يوم القيامة.

وقد قال شيخ الإسلام في الآية السابقة عدما قالوا (أي السلف) أحسن عاقبة ومصيرا، فالتأويل هنا تأويل فعلهم الذي هو الردُّ في الكتاب والسنة فالملاحظ هنا أن التأويل ليس المراد منه أحسن تفسير بل هو حسن الجزاء والعاقبة.

- **التأويل في سورة الأعراف**: قال الله تعالى ﴿**وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ 52 هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ**

(1)– ميجان الرويلي، سعد البازعي، المرجع السابق، ص64.

(2)– سورة النساء الآية 58.

قَدْ جاءَتْ رسل ربِّنا بِالحَقِّ﴾[1]، يقول ابن الحرير في تفسير معنى التأويل في هذه الآية الكريمة.

أي ما يؤول إلى عاقبة أمرهم من ورودهم على عذاب الله وصليَّهم جحيمه وأشباه هذا مما وعدهم الله به. وفي ذلك قال قتادة:" هل ينظرون إلا تأويله أي عاقبته، وفي رواية عنه ثوابه، وقال ابن الكثير:" هل ينظرون إلا تأويله"، أي ما وعدوا من العذاب والكال..."، قاله مجاهد وغير واحد وقال مالك:" ثوابه وقال شيخ الإسلام:" ... وعن ابن عباس في قوله:" هل ينظرون إلا تأويله" أي تصديق ما وعد في القرآن، وعن قتادة تأويله: ثوابه وعن مجاهد: جزائه، وعن السُّدي: عاقبته، وعن ابن زيد: حقيقته، قال بعضهم: تأويله ما يؤول إليه أمرهم من العذاب وورود النار".[2]

ثالثا بلاغة التأويل:

3-1 مفهوم بلاغة التأويل:

"هي توجه تأويلي عربي معاصر يهدف إلى إضفاء صفة البلاغة على فعل التأويل وذلك ببيان الإجراءات التي تجعله بليغا فاهما مفهما متبينا مبينا، وفيما يقيل من أوراق المطبوعة بسط لأهم مبرراته وأسناده ومفاهيمه وإجراءاته ومجالات تطبيقه".[3]

3-2 مشروع بلاغة التأويل:

"عرفنا فيما تقدم أن بلاغة التأويل هي اتجاه تأويلي معاصر، يهدف إلى ترشيد فعل التأويل مقدما البدائل الإجرائية والآليات الناجعة التي تراهن على فهم أدق النصوص لمختلف أشكالها ومجالاتها، ويستند هذا المشروع التأويلي بالدرجة الأولى إلى التأويلية العربية التي

---

(1)-سورة الأعراف الآية 52.

(2)-ميجان الرويلي، سعد البازعي، المرجع السابق، ص66.

(3)- بشير عزوزي: المحاضرة الرابعة:" بلاغة التأويل والمؤول وانسجام والتأويل في مقياس بلاغة التأويل، ص17.

تعد نموذج فريدا في التأويل، خاصة ما يتعلق بالمفسرين المتصوفة وعلاماء الكلام، كما أن هذا المشروع يستأنس بالمفاهيم الغربية التي تدعوا إلى تهدئة الفعل التأويلي وتوجهه"[1].

رابعا التأويل التقابلي:

4-1 مفهوم التأويل التقابلي:

إن التقابل في تصور صاحب النظرية التأويلية التقابلية:" محاذاة المعاني بعضها البعض والتقريب بينهما في الحيز الذهبي والتأويلي لأحداث تجارب ما، أو تفاعل معرفي وإضاءة بعضها الآخر، وهو خاصية تواصلية وإدراكية، فالأمور تفهم وتمثل بشكل أفضل بعرضها على مقابلاتها، بل إن الحياة مبنية على أساس تقابلي تخالفي أو تماثلي أو توافقي أو نقيضي، فما في الوجود شيء إلا وفيه ما يقابله"[2] وهذا يدل أن الأمور تفهم بشكل أفضل بعرضها على مقابلاتها، فكل الخطابات أو النصوص تقوم على هذا التقابل وكذلك الحوارات أي مبنية عليه، ولا تتم عملية التواصل بين شخصين إلا إذا بدأ الأول بالكلام ورد عليه الثاني بكلام يقابل كلامه، وإن لم تكن هذه العملية فلن يكون هناك تواصل بينهما.

وعليه فالتأويل التقابلي نظرية في الفهم وبناء المعنى، فهو وسيلة لكشف المعاني أولا ثم تفهيمها ثانيا، ويكون ذلك" عبر إحداث التقابل بين المعاني والعناصر بما يوضحها أكثر، لأن التقابل حاصل في التفكير المنتج للغة، وفي انتظام الكلمات والمعاني، ويجليه التقابل بمستوياته الكثيرة ومظاهره التي ينفسح لها ذكاء المتكلم واجتهاده"، وبهذا لا يكون التأويل التقابلي أداة لفهم المعنى فحسب بل هو أداة لتفهيمه أيضا[3].

4-2 مراحل تكوين التأويل التقابلي:

مر التأويل التقابلي عبر مرحلتين هما:

---

(1)- بشير عزوزي: المحاضرة الرابعة:" بلاغة التأويل والمؤول وانسجام والتأويل في مقياس بلاغة التأويل، ص17

(2)-محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي-مقدمات بديلة لمعرفة النص والخطاب، منشورا الاختلاف، ط1، الجزائر، ص81.

(3)-المرجع نفسه، ص81.

- **المرحلة الأولى:** حيث أسس التأويلية العربية في نموذج التساندي لفهم النصوص والخطابات انطلاقا من منهج المفسرين وشراح الشعر، حيث من خلال ظهر التأويل التقابلي كآلية في هذا النموذج إلى جانب تساند الدوائر النصية مع الدوائر السياقية، والجمع بين التنظير والتطبيق في هذا الكتاب، ومن خلاله نال جائزة المغرب للكتاب سنة 2010م.

- **المرحلة الثانية:** تعتبر هذه المرحلة مرحلة تعديل النموذج واكتمال (نظرية التأويل التقابلي)، من خلالها صار التقابل فيها فضلا عن كونه نظرية فهو نموذج ومنهج ومرجعية لكل ما سبق. وتمثل في كتابه (تقابلات النص وبلاغة الخطاب) عمل على تجريب آليات التأويل التقابلي بقراءة مجموعة من النصوص والخطابات. [1]

4-3 التأويل التقابلي عند محمد بازي:

لئن كان التأويل في الثقافة العرية القديمة ذا منشئ ديني خالص، فإنه في العصر الحاضر لا يعدوا كونه استجابة للوافد النقدي الغربي، غير أننا لا يمكن لنا أن نقصي تلك المحاولات الرادة التي استفزها سيل النظريات الغربية فانبرت إلى التراث باعثة له مستأنسة بما وافق خصوصية العقل والخطاب العربيين، ومنه نجد محاولات تأويلية رادة في العالم العربي، كجهود:" علي حرب" و" محمد مفتاح" و"عبد الفتاح كيليطو "ونصر حامد أبو زيد"، إضافة إلى نصر حامد أبو زيد ومحمد بازي وعمارة الناصر وغيرهم، وعليه يمكن لنا أن نتقصى بعض التعريفات مصطلح التأويل لنرى ما طرأ عليه من تغيير وما حدث له من تطور، وإذا أردنا أن ننطلق في القراءة المعاصرة الواعية للتراث المنفتحة على الوافد الغربي، فإن علي حرب خير من يمثل ذلك، فقد انطلق في تحديد مجال القراءة التأويلية في مختلف الممارسات التراثية وكذلك المعاصرة"[2].

---

[1]-السعيد ضيق الله، نظرية التأويل التقابلي- الانبثاق التصوري، وآليات التجسيد النصي، جامعة الجزائر، المجلد 3، العدد 8، 2018م، ص10.

[2]-بشير عزوزي: المحاضرة الأولى" الجهاز المفاهيمي"، ص13-14.

ولا يمكن أن نمر دون التعريج على الباحث محمد بازي صاحب بلاغة التأويل، الذي بدوره شدد على أهمية القراءة التأويلية وعلى آثارها المهمة على الأفراد والأمم، منطلقا في ذلك من التأويل معولا لتوسيع الشرخ العقائدي والانقسام المذهبي، وذلك فإنه يقدم تعريفا دقيقا واعيا لهذا المصطلح بقوله:" إن التأويل تفاعل معرفي بين بنية ذهنية وبنية نصية وبنية سياقية مؤطرة لهما، وبنية من النصوص الغائبة والعلوم المرجعية"، يحيل هذا التعريف إلى حقيقة الممارسة التأويلية، وكذلك إلى الآليات التي تتكئ عليها، والناظر في هذا التعريف يرى أنه خلاصة مكثفة لكثير من التعريفات التي اطلع عليها سواء أكانت مما حمله من التراث أو مما جاءت به النظريات التأويلية المعاصرة، أي حوار بين عقليتين وفكرين ومقصدين، بل وسياقين، ومن هنا يمكن التأكيد على أن التأويل عند محمد بازي ليس فقط ذلك التعامل مع البنية النصية وإنما هو تعامل مع مجمل تلك البنيات.

الفصل الأول

مطارحات نظرية

تمهيد

التأويل التقابلي يعد إجراءا لإحضار الغائب واستجلاء المخفي ضمن السياق النصي، ومصطلح "التأويل التقابلي" منهج أتى به "محمد بازي" والذي ذل مجهودا معرفيا كبيرا على مشروعه واشتغل عليه، وفي ظل انتظار المشاريع الجادة والأصلية يأتي مشروع محمد بازي من بين لمشاريع التي تسعى إلى تأسيس تأويلية عربية تمتد بجذورها إلى عمق التراث وتشمخ بأغصانها إلى آفاق واعدة، يكشف دفائن النص، وهذا من خلال نظرية "التأويل التقابلي" التي كانت محطة البداية فيها بالتأويلية العربية كنموذج ساندي تتكامل فيه الدوائر الصغرى (النصية) مع الدوائر الكبرى (السياقية) وكان التأويل التقابلي حينها محطة من محطاتها.

قدم محمد بازي نظرية التأويل التقابلي في شكل يختلف عن المألوف فقد قسم كتابه" نظرية التأويل التقابلي" إلى مقدمات بديلة لمعرفة النص والخطاب وإلى ألواح ومسالك وتنزيلات، فكان أن تضمنت الألواح السبع مجمل الفرضيات التي تدعوا لها النظرية، تقابلها سبع مسالك لاثبات صحتها والمسالك السبع سيقابلها مثلها من التنزيلات تحقق فيها من صحة الفرضيات وذلك باختبار نماذج من النصوص يقاربها بالتأويل التقابلي مثبتا شجاعة نظريته وفاعليتها في قراءة نصوص على اختلافها غير أن التنزيل الاخير أي السابع جعله لمراجعة الألواح، واتباعها بالملحقات التي تضمنت قاموسا للنظرية، احتوى جل المفاهيم التي انبنت عليها تصوراتها.

لقد استغنى محمد بازي بهذه المنهجية عن المنهجية المعهودة في كتابه" البحوث العلمية" مقدمة، فصول، خاتمة" دون أن يبرر هذا الاختيار ولا يبين العلاقة التي يمكن أن تجمع بين المنهجية ونظرية التأويل التقابلي وإن كان البديل المنهجي في الكتابة" ألواح، مسالك، تنزيلات" سيفتح باب تأويل واسع.

ومن خلال هذا سأحاول أن أسلط الضوء على كتاب نظرية التأويل التقابلي، وعلى اعتبار هذا الأخير هو صناعة ثانية تروم التأويل والفهم، تقابلها صناعة أولى أنتجت النص أو الخطاب المراد تأويله وفهمه.

الألواح التقديمية:

يتحفنا أستاذنا محمد بازي في كتابه القيم نظرية التأويل التقابلي بأساليب لغوية فذة لا يتفوه بها إلا الجهبذُ في فنون اللغة وهو القامة الكبيرة في البلاغة ولقد امتلك الملكة اللغوية وكان أهل لها، فحينا يحدثنا في مقدمة كتابه –في رحاب الكون المقابل– يبهرنا بقوة البلاغة التي قلما نجد لها نظير في تعريفه للنصوص بأنها:" إلا فهوم للكون البليغ عبر سلالم اللغة المتقابلة ثم استوت في كينونة الفهام وخرائط الأرواح"(1)، فبمجرد قراءة هذه الأسطر نذكر القوة اللغوية التي يتحلى بها الكتاب فسلالم اللغة التي يعني بها إنما هي تلك الملكة اللغوية التي تستقر في خرائط مفهومة يكون لها باع في فهم النصوص وتأويلها.

وقد تجلى فهمه الواضح للتأويل حين قال أنه لابد من فهم الجزئيات وتأويلها حتى ندرك أبعاد مبادئ الكليات لذلك نجد قد تمادى الكاتب في وضع العناصر بدقة متناهية في كل مسلك من المسالك التي ابتغاها في كتابه وما تقسيمه للكتاب إلى مجالين ضخمين إلا إبرازا لتلك الفخامة في اللغة، فقد أبدى في كتابه هذا مصطلحات قام بتجزئة العناوين الفرعية، لعلنا نجد الجواب في كل نقطة أبداها في الصلح العلمي، وقد أنبئنا فهرس الكتاب عن كثرة العناوين على زخم المرادفات وأهم المفاهيم حيث يحيلنا إلى عدم نسيان أي عنوان يهم القارئ في هذا المجال أي التأويل، ولعل الألواح التي قسم بها كتابه قد استوحاها من ألواح سيدنا موسى عليه السلام أو ما يعرف في عقيدة الإسلام باللوح المحفوظ فهي لا تخفى عليه هذه المصطلحات، وقد أبدع في مقدمة كتابه ونحسب أن طريقة المؤلف تشبه نوعا ما ما اهتدى إليه ابن خلدون في كتاب:" المقدمة"، الذي اغترف من كل ساحل عذب شربة

(1)–محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، منشرورات الاختلاف، ط1، الرباط المغرب، 2013م، ص37.

هنية، فهو يطوف بنا من التصور والاتساق وعلوم الآلة ويرجع بنا إلى التقابل الخفي ومفهوم النصوص وحال الأدب والنقد ومرة يجذبنا إلى التخاطب وبلاغة القول عنده، وأما السرد فمجال واسع استغلق ثلاث وعشرين عنوانا وفي الأخير أخذ بمراجعة الألواح التي أوحيت إليه في فكره.

أراد الكاتب أن يلخص لنا النموذج التقابلي وتأويليته بقوله:" أنه كيف يعكس النص المصغر العالم المكبر"،[1] وهي الخطة المرسومة في تحويري العالم المكبر إلى نصوص صغيرة دالة عليه أي أنها مرآة قائلها وهي في غاية التقابل البديع المودع في الكون من قبيل سلعة الفكر وهو الثراء الذي بقي محفورا سواء أكان ثقافة أو أدبا كله يدور في فلك اللغة وأساليبها المتنوعة ولعل الألواح السبع هي المفاتيح التي تحدث عنها في مقدمته فكل لوح يبرز لنا أن أهم ما يجد من تأويل حول فكرة معينة وإليكم اللوح الأول: وهو كما قلنا سالفا بأن النصوص المصغرة مرآة للعالم الكبير إنتاجا وتلقيا" تسهم في تجلية ابعاد تناغم الكون وبلاغته"،[2] وهي من منظور الكاتب أنها إحدى زوايا النظر والتصور من غير شك بألوان القراءة واتجاهاتها.

وقد تحدث في اللوح الثاني عن مجال العلم بتقابلات النصوص فقال: "هو يقوم على التقابلات الكونية والكون البليغ والخطاب البليغ ثم التأويل البليغ تبعا لهذا وذاك"؛[3] أي أن البنيات العميقة تكون صورة للخطاب الظاهر.

أما في اللوح الثالث فقد ذكر أن:" المؤول التقابلي بالبنيات النصية العتبية"، ليليه اللوح الرابع الذي صور لنا مقولة:" التقابل بنية ذهنية مجردة فرضت حضورها في جميع المجالات المعرفية: الفكرية، اللغوية، الفلسفية والأدبية"، أما بالنسبة للوح الخامس فيبرز من خلاله أن:" بلاغة القول التي تفضي إلى بلاغة الفعل"، يتبعه اللوح السادس والمراد فيه أن:"

---

(1)– محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص17.

(2)–المرجع نفسه، ص 18.

(3)–المرجع نفسه، ص18.

النصوص أكواب لغوية لمعان وتراكيب متقابلة"، ليختمه باللوح السابع والأخير والموسوم ب:" التقابل رؤية للذات والعالم".

1-1 المسلك الأول:" مقدمات لنظرية تأويلية تقابلية موسعة":

محمد بازي في المجال الأول تناول الأسناد المرجعية والأسس النظرية حيث تضمن المسلك الأول مقدمات لنظرية تأويلية تقابلية موسعة على درجة كبيرة من العمق والأهمية الأدبية والنقدية والتأويلية تناول فيه الأطر المعرفية التالية:" بناء النظرية والنموذج، اتساق النظرية والمفاهيم المؤسسة للنموذج، الملكات التأويلية المنتظر تحصيلها بتطبيق النموذج، مرامي النموذج، انسجام التأويل، الانسجام داخل العدد التأويلي، محاصرة القصيدة، التأويل ومقام التملك، صناعة التقابل وتأويله، فهم حقيقة الكون والوجود عبر التقابل، وفي الأخير ختم المسلك بخلاصة شاملة ومن بين العناصر التي درستها في هذا المسلك هما:

1-1-1 التصور والفروض:

قسم بازي فرضيات النظرية إلى فرضيات كبرى وأخرى صغرى متغيرة تابعة، ترتبط بقارئ معين، أو بتجربة قرائية خاصة تسبق أي تأويل لنص م النصوص أما الكبرى مؤطرة تأسست عليها النظرية، فأجملها النظر الشمولي إلى الكون على أساس تقابلي، تقابل العوالم والأشياء والألوان والكلمات...، في أقصى ما يحتمله التقابل في الإمكانات(1).

أ. النص عالم من المتقابلات الظاهرة والخفية، النصية والمبنية عبر أفعال التأويل.

ب. منتج النص يحاول العالم المتقابل في فاعله مع الذات إلى عالم من المعاني المتقابلة عبر استراتيجيات تعبيرية مختلفة، إنه نظم للمعاني المتقابلة حسب إمكانات التعبير ومقاصد التأليف وضوابط الصيغ الجمالية.

ج. هذه التقابلات الظاهرة والباطنة لها من القوة الظاهرة والخفية ما يبلغ المقاصد والغايات من التأليف والإنتاج ويحقق التأثير المرغوب فيه.

(1)– محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص37.

د. نفترض أن هذه التقابلات المؤسسة للمعنى هي الجوهر الأصل، والروح البانية للمعاني والتصورات، وهي محمولة إلينا عبر الكلمة المفردة والجملة والنص والخطاب ومستلزمات السياق الخارجي والثقافة والموسوعة والمعارف الخلفية المشتركة.

ه. كل نص هو بناء تقابلي يعكس الخطاطات الأولية للمعنى عند منتجه والقارئ المؤول يتتبع هذه الخطاطات عبر تشريح تجزيئي للمستويات البانية للنص (الحرف، الفعل، الكلمة، الجملة، العلاقات الداخلية، المقاطع، الترتيب، المساق والسياق...). [(1)]

محمد بازي استعان بالبلاغة العربية القديمة من أجل إثبات صحة فروضه عبر عدة مسالك ، كون البلاغة العربية القديمة حوت التقابل والدراسات العربية والغربية الحديثة وما أنتجته من نظريات.

1-1-2 بناء النظرية:

عرف محمد بازي النظرية من خلال قوله:" خطة معطاة سلفا تقسم العالم وفق أنموذج واحد، ووجه اهتمام الملاحظ إلى المضي في مسارات معينة، كما تمنعه من ولوج المناطق التي تشتغل فيها نظرية أخرى"،[(2)] كون النظرية تؤمن بمصادرها ومفاهيمها ولا تهدف إلى تعميم أو تجبر المتلقي على أن يقبل بها، من اجل بناء نظرية تتعلق بالتأويل التقابلي والتساندين الانطلاقة تكون من فرضيات يقوم باختيارها.

1-1-3 في فهم حقيقة الكون والوجود عبر التقابل:

حاول الباحث في هذا العنصر أن يثبت تقابلية الكون حيث يرى أن ملاحظة الظواهر تقتضي حضور زوجها إما حضورها ماديا أو معنويا، إذ مثلما تتقابل الماديات في الكون المادي تتقابل المعنويات في الكون المعنوي، يسدل بقوله تعالى ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾، [(3)]فهو يرى أن الكون المتقابل في القرآن الكريم خير دليل على انتظام الكون بشكل تقابلي.

---

(1)– محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص37.

(2)– المرجع نفسه، ص38.

(3)– المرجع نفسه، ص 39.

إن هذه الآية لا تقر بما ترسم في فكر الباحث لأنها تتحدث عن خلق الأزواج في عالم الكائنات الحية حسب ما هو وارد في الآية لأنه ذكر فيها خلق النباتات في الأرض والإنسان من نفسه فضلا عن عوالم أخرى لا يعلمها إلا الله وذلك في قوله ﴿ومما لا يعلمون﴾، وهذا لدلالة على عظمة الله في خلقه وتنزيهه، فالآية تختص بعالم الأحياء لا المادة.

1-1-4 ما النموذج:

يقوم النموذج على" مجموعة من الافتراضات والتعريفات والنظريات الأساس التي تكون فهم جماعة علمية ما لحقلها وتقود برنامجها البحثي"،[1] باعتباره الأداة التي توفر حلولا فتاريخ التأويل هو تاريخ نماذج متطورة، متعاقبة، متكاملة أحيانا، متنابذة أحيانا أخرى، حيث أن كل نموذج تأويلي يقترح أدوات من أجل الوصول إلى حقيقة النص، وهذه الأخيرة يمكن أن تصطبغ بالعصبيات والعقائد والنزعات الفردانية وأحيانا تصطبغ بنزعة علمية متوازنة.

خلاصة المسلك الأول:

وما يمكن أن نستخلصه في هذا المسلك أن الدكتور محمد بازي حاول أن يتناول إشكالية متعلقة بالفهم والمعنى كونها إشكالية قديمة، غير أن بازي أطرها بمقترح تأويلي ناظم ألا وهي استراتيجية التأويل التقابلي، والإفادة النظرية والمنهجية والمفهومية التي يمكن أن يقدمها في هذا الصدد للمشتغلين بالفهم والتفهيم، وبقضايا المعنى في النصوص المختلفة قديمة وحديثة[2].

أ. تبيان المرجعيات المعرفية التي استفادت منها بشكل مباشر أو غير مباشر في بناء صرح النموذج التقابلي، منها مرجعيات عربية إسلامية قديمة ومرجعيات غربية حديثة، وقد كان تعامله معهم انتقائيا وتجزيئيا.

(1)-ينظر: محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص39.

(2)-المرجع نفسه، ص40.

ب. أيضا درس الأسس التي تقوم عليها نظرية التأويل التقابلي وهي أسس مترابطة ومتعالقة يفضي بعضها إلى بعض.

ج. ولذلك بين حدود التمايز والتلاقي بين النظرية والنموذج، كون النموذج التقابلي وسيلة للفهم والاشتغال على النصوص.

ه. يتميز النموذج التقابلي بمبادئ التحول والتنوع والإنفتاحية والتساندية والغائية وانسجام محصلات التأويل ثم الوظيفة وإمكانية التقاسم.

و. يرمي النموذج التقابلي إلى تحقيق انسجام التأويل الفردي أو الجماعي.

1-2 المسلك الثاني:" سيمياء التقابل وكيمياء التأويل":

في هذا المسلك تناول الناق بصفة عامة سيمياء التقابل وكيمياء التأويل، وفي مباحثه حاول أن يبين المنحى الأبعد للتفكير بالتقابل، ألا هو الحقيقة للمعنى النصي وعلى أنماط لتشكل الخطاب وتوسيع رؤية إلى الكون المتقابل كما هو موضح في المخطط التالي:

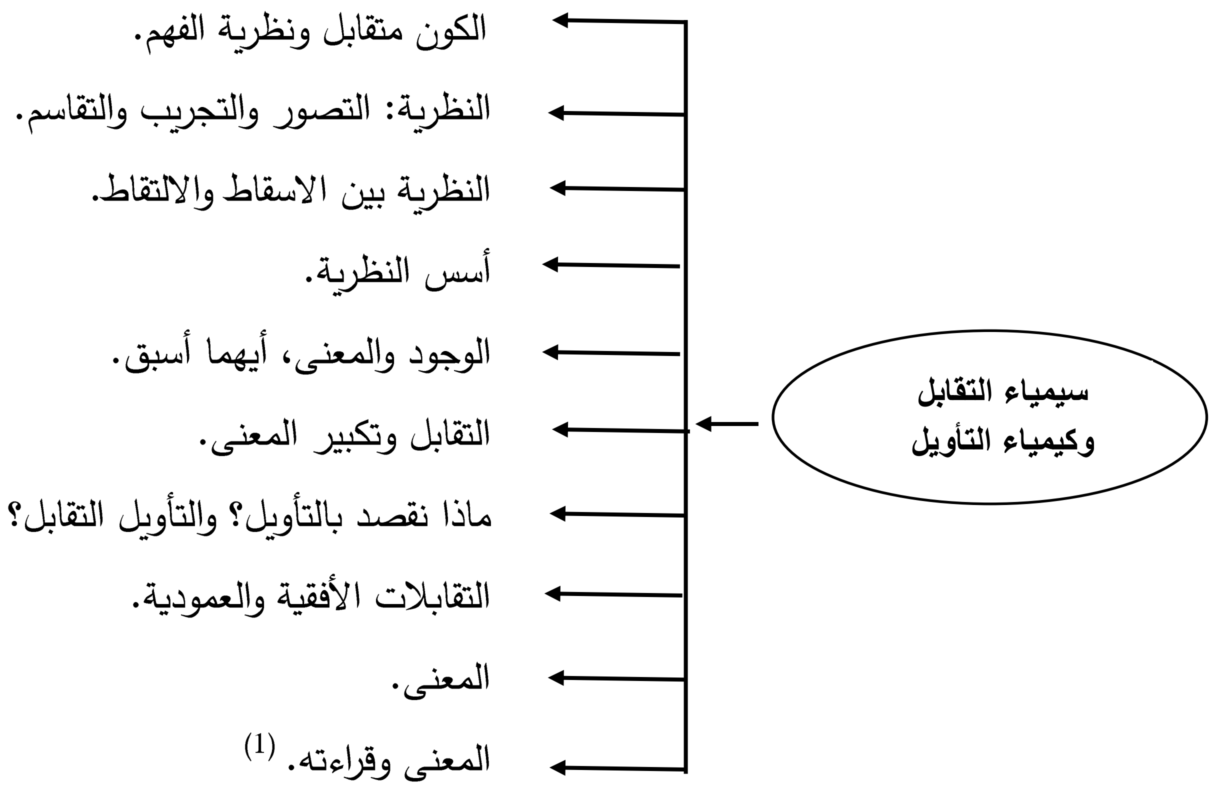

(1)-ينظر: محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص08.

وفي الأخير يختم الناقد المسلك بمجموعة من الخلاصات التي لفتت انتباهي من بين هذه العناوين هي:

- الكون المتقابل ونظرية الفهم.
- أسس النظرية.
- الوجود والمعنى، أيهما أسبق.
- ماذا نقصد بالتأويل؟ والتأويل التقابلي؟
- التقابلات الأفقية والعمودية.

1-2-1 الكون المتقابل ونظرية الفهم:

النظريات وبناء النماذج تنشأ من التأمل في الأمثلة والظواهر أيضا والتعمق في الأسئلة حول الأنساق الظاهرة والخفية المتحكمة فيه، والحال أننا نسائل ظواهر نصية (النص الديني أو الأدبي...)، وظواهر خطابية (خطاب التفسير أو الشرح أو النقد مثلا)، وهذا ما جعلنا نعود إلى النصوص والنماذج الكثيرة لنصوص الأدب والتاريخ ومدونات الأخبار والشعر كون هذا لا يقع على مرتبة ابستمولوجية واحدة[1].

المعرفة بالنص والخطاب تقع على أفقين إبستمولوجيين مختلفين، الأنظمة اللغوية والأسلوبية المحققة لنصية النص، مقابل الأنظمة والأدوات التي يقوم عليها الخطاب، وهذا دليل على أن التقابل به يفهم العالم المحيط بنا، وفهم الوجود والعلاقات الإنسانية وحياتنا، وهو أيضا بلوغ الخلاص الدنيوي والآخروي في القول والعمل، وحقيقة الحياة والموت والخير والشر، من أجل ذلك جاءت الرسائل الربانية وانتظمت الشرائع وتأسست القوانين من أجل الحفاظ على كرامة وحرية وإنسانية الإنسان[2].

[1]- محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص72-73.

[2]-المرجع نفسه، ص73.

1-2-2 أسس النظرية:

" تتبني النظريات من جماع المرجعيات المعرفية التي تستند إليها أجزائها ومن الافتراضات التي تنطلق منها ومن الشواهد أو الظواهر التمثيلية التي تؤيد بها تصوراتها، وتنسحب على الظواهر والأمثلة المفترضة الشبيهة بالنماذج المقدمة، كما تقدم نظاما من الأفكار والتصورات القابلة للتعميم والتقاسم والتجريب، غير أن النظريات لا تتشكل إلا في مناخ علمي وفي عقل ناضج وفكر ثاقب يستطيع أن يتمثل الخصائص المشتركة بين الظواهر، بحيث يخرج بنظام واصف يمكن تعميمه والقدرة على النفاذ إلى بواطن الظاهر ثم التجريد واختيار الأمثلة المناسبة إضافة إلى ملكة الإقناع والتوظيف الدقيق واللغة والواصفة، والأسلوب الوافي بالغرض"[1].

وهذا دليل على أن النظرية التقابلية تبنى من المرجعيات التي تستند إليها بشكل جزئي وأيضا تبنى كذلك من الفرضيات الكبرى التي كرت في بداية الكتاب.

1-2-3 الوجود والمعنى، أيهما أسبق:

الفلسفة الغربية هي منطلق بلاغة التأويل في هذا الإشكال، وبالضبط من فلسفة "بول ريكور" حيث يرى أن " التأويل يسبق التلفظ، وهنام الوجود أولا أي الكينونة المؤول، ثم فهمهم وتأويله للعالم والوجود ثم التعبير عند ذلك المعنى يوجد قبل التأويل"،[2] بمعنى الوجود هو المادة الأولية للمعنى، وقد ذهب إليه أرسطو أيضا، ولعل هذا ما يؤكد قضية أن اللغة هي النص هو المكتوب من الوجود فالنص هو نقل للوجود من هيئة إلى هيئة، وهذا ما يؤكد أن الكتابة ما هي إلا تأويل للوجود.

1-2-4 ماذا نقصد بالتأويل؟ والتأويل التقابلي؟

التأويل حسب تصور محمد بازي هو:" إعادة بناء المعنى النصي أو الخطابي وبيانه فهما وفهيما، سواء تم عبر ظاهر العبارات والألفاظ، أو تم تجاوز الظاهر نحو البنيات

---

(1)- محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص77.

(2)-المرجع السابق، ص 79.

العميقة للمعنى والتأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام"؛[1] أي أن التأويل هو البحث عن المعنى الذي يؤول إليه قصد النص افتراضا، سواء كنا ذلك ظاهرا أو باطنا.

وعرفه ابن فارس:" تأويل الكلام هو عاقبته وما يؤول إليه"، [2] كما عرفه من خلال قوله:" أداة بيان المعنى وتفهيمه، عبر إحداث التقابل بين المعاني والعناصر بما يوضحها أكثر"،[3] أي أن التأويل التقابلي استراتيجية تأويلية قائمة على مقابلة المستويات والعناصر ذهنيا، وهو قائم على ملكة التفكير بالمقابل الموجودة بالقوة لدى كل الناس.

1-2-5 التقابلات الأفقية والعمودية:

نقصد بالتقابلات الأفقية أن عنصرا ما(أ) يقابله في البنية الخطية للملفوظ عنصر (ب)، أي في الجملة الواحدة أو البيت الشعري الواحد مثلا، وقد تحصل تقابلات كثيرة في بنية جميلة واحدة"،[4] أما التقابلات العمودية عرفها بأنها:" يقصد بها تقابل معنى في البنية الظاهرة مع عنصر في البنية العميقة عبر التلميح، أو الاستعارة أو الكناية أو الرمز أو المجاز أو غيرها من الأساليب التعبيرية.

1-3 المسلك الثالث:" الفهم بالتقابلات":

في هذا المسلك حاول الناقد أن يعالج مسألة الفهم وأن يضعها في مكانها الصحيح والمناسب معرفيا ونفسيا ومجال الاشتغال هو النصوص والخطابات وقد عرف الففهم من خلال قوله:" هو الحبل الرابط بين العوالم والعقول والذاكرات والتصرفات والمواقف والكتابات والتأويلات والأقوال والتفاهات، بل هو معنى ما نجِد وما نُوجِد"،[5] وكون الفهم مرحلة أساسية في أي اشتغال تأويلي يهدف إلى بناء المعنى، وقسم المسلك إلى عناوين مختلفة، والذي لفت انتباهي هو" التساوق وتقابل السياقات".

---

(1)- محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص80.

(2)-ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، عبد السلام هارون، ص62.

(3)- محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص87-88.

(4)- المرجع نفسه، 87-88.

(5)-ينظر: المرجع نفسه، ص89.

1-3-1 التساوق وتقابل السياقات:

السياق موجود في كل نص أنتج فيه ومن خلاله يفهم ويؤول، إلا البعض من النصوص لا تفهم حق الفهم إلا بقيام دمج السياق المباشر للنص في السياق الموسع لتجربة المنتج فالسياق الأكبر لتجربة أدبية يضيء السياق الأصغر، كون هذا الأخير لا يفهم في بعض الأحيان إلا باستحضار السياق الأكبر عبر المقابلة بينهما،[1] ومعنى السياق الأصغر حسب محمد بازي هو" الواقعة المباشرة التي ارتبطت بقول كلمة أو جملة أو حكمة أو مثل، أو بيتين شعريين أو قصيدة معينة أو خطاب كامل"، [2] أما تعريفه للسياق الأكبر" فهو التجربة الحياتية والأدبية الخاصة بالمنتج"[3].

معنى النص في تصور تأويلية التقابل هو معنى جميع مكوناته النصية متضافرة معجميا، صرفيا وتركيبيا، بالإضافة إلى متعلقاته السياقية وكل ما يساهم في فهم النصوص وعمليات ذهنية وتأويلية، كما عرف محمد بازي هذا العنصر أي السياق لغة واصطلاحا، ففي اللغة:" مأخوذة من ساق يسوق وسياقا، أي هو توجيه الحيوان من الإبل والغنم، أصله" سواق" بمعنى التتابع، أي الغنم التي تسوق بعضها بعضا"،[4] أما في الاصطلاح فالسياق مأخوذة من ساق الكلام سوقا أي أورده ووجهه نحو مقصد معين وهو ما تم إيراده من كلام و" فلان يسرد الحديث سردا إذ كان جيد السياق له"[5]

أما في الدراسات النقدية الحديثة وأيضا في الخطاب التأويلي:" البنية القبلية والبعدية للقول (السياق الداخلي) أو المساق ونفضل أن نستخدم" السياق"، بمعنى أنه بنية من المعطيات الخبرية المجردة والتي تشكل تصورا ذهنيا عند المؤول فهذا يدل على أنه ليس

---

(1)-ينظر: محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص89.

(2)- المرجع نفسه، ص98.

(3)-ينظر: المرجع نفسه، ص99.

(4)-ينظر: المرجع نفسه، ص99.

(5)-ينظر: المرجع نفسه، ص99- 100.

بنية من المعطيات المادية"،[1] ومن خلال هذا فالسياق هو جماع المعلومات والأخبار التي تساق إلى التأويل ليفهم النص على ضوئها.

أما" التساوق تدافع وترابط سببي بين المتتابعات وهو أمر حاصل بين البنيات النصية وبين المعاني التي تتنامى في النص بشكل تقابلي تتميمي أو تنويعي أو خلافي، أو تناقضي"،[2] فالتساوق من مظاهر تماسك النص.

1-4 المسلك الرابع:" الأسناد المعرفية لنظرية التقابل":

في هذا المسلك حاول "محمد بازي" أن يقدم مجموعة من الأطر المعرفية والنظرية التي تسند التحققات التي حصلت حول الكون المتقابل، والنص المتقابل والتأويل بالمقابل، ومن أجل تعزيز تلك التصورات يقدم المؤولين مجموعة من الموجهات على شكل أسناد التي تهدف إلى دعم اشتغالهم على النصوص، وتفتح آفاق معرفية واسعة، وقسم المسلك إلى عناوين متفرعة ومن بين هذه العناوين التي قمت بدراستهم ما يلي:

1-4-1 تقابل الحقيقة والمجاز وأدواره في التأويل التقابلي:

التواصل الكتابي أو التواصل الشفهي يتأسس على المعنى والقصد، وذلك أن أي بناء لغوي يقارب تأويليا يجب أن يتم من منظور كون البنية اللغوية الحقيقية أو المجازية، وكثير من المجازات أصبحت حقائق في سياق التداول، ففي كل الأحوال فإن المؤول البليغ الذي تكلم عنه "محمد بازي" يجب عليه أن يقف في تحليله عند طبيعة الكلام[3].

فالحقيقة عند الناقد هي الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة، ولا تقديم ولا تأخير ولا تمثيل، أما المجاز فهو كلام يتجاوز الحقيقة، ويرى ابن جني:" الحقيقة هي ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز عكسه، ومن أجل العدول عن الحقيقة

---

[1]-ينظر: محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص100.
[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص100-101.
[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص 110-111.

إلى المجاز وهناك أغراض هي: الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن غابت هذه الثلاث فإن الكلام على حقيقة"[1].

هذا المجال يفتح أمامنا للحقيقية والمجاز بابا واسع في مجال التأويل، كونه يعيد الكلام إلى نظامه إما الحقيقة أو المجاز عن التأمل في كل بنية لغوية حيث يساعد في فهم وبناء المعنى، والعودة إلى المرجعية البلاغية ليكون سندا قويا للتصور حسب محمد بازي، عند المعرفة بهذه الأسس البلاغية يساعدنا في فهم أثناء الكلام والكتابة[2].

1-4-2 أساس البلاغة وأساس التأويل:

أكد الزمخشري على أهمية معرفة اللغة في التأويل وهذا ما أكده في مقدمة" تقسيم الكشاف" وكان اشتغاله التأويلي على الكون اللغوي بشكل يظهر تحقق كفاية تأويلية بليغة في تفسيره للنص القرآني من أجل بناء أدواتها ونسقها بمفاهيم مختلفة وتوضيح الشروط تحققها لدى المشتغلين على النصوص والخطابات، ومن خلال هذا يدرك أهمية معرفة المعاني الحقيقية والمجازية للكلمة ألف كتاب المعروف ب:" أساس البلاغة"، وكان الزمخشري عالم بأهمية كبيرة بالحقيقة والمجاز المتداول من كلام العرب من طرف الكتاب والشعراء[3].

ينتج المعنى على مستوى الكتابة والتأليف بشكل نسقي تنتظم في كل العلوم وهي علم اللغة وعلم النحو وعلم البلاغة حيث قال الزمخشري:" فمن حصل هذه الخصائص وكان له حظ من الإعراب الذي هو ميزان أوضاع العربية ومقياسها ومعيار حكمة المواضع وقسطاسها وأصاب خروا من علم المعاني وحظي برش، من علم البيان وكانت له قبل ذلك

---

(1)-ينظر: محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص 111.

(2)-ينظر: المرجع نفسه، ص112

(3)-ينظر: المرجع نفسه، ص 116.

قريحة صحيحة وسليقة سليمة، فحل نثره وجزل شعره ولم يطل أن يناهز المقدمين ويخاطر المقرمين"[1].

في هذا المقام يوجه الزمخشري بتصوره مثل ما فعل القرطاجني والعسكري وابن رشيق وابن الأثير وغيرهم من الكتاب والأدباء والباحثين عن ألوان الأساليب العربية في استعمال الكلمة الواحدة، وفي كتاب:" أساس البلاغة" يقدم وسيلة من وسائل الكتابة، كما يدعم في المقاربة التأويلية كون الإنتاج والتلقي يلتقيان في فضاء لغوي واحد ألا وهو النص، وتبعا لذلك كل ما يفيد الكاتب بالإلمام بالمجازات والحقائق اللغوية كذلك يفيد قارئ النصوص ومؤولها[2] .

وأيضا من العناوين التي لفتت انتباهي هي:

1-4-3 التقابل، الاستناد، الخبر والقصدية:

يرتبط بالتقابل الإسنادي القصد الذي يبنى على الحكم بالمسند على المسند إليه، فيكون الخبر على سبيل المثال تبعا لذلك موجها إلى فئات متقابلة من المخاطبين وهو تقابل ثلاثي المراتب: المقام الحالي الذهن، خبر بدون مؤكد (زيد عارف) وهو الخبر الابتدائي، مقام السائل المتحير (خبر مؤكد واحد) مثال: (إن زيدا عارف) وهو الخبر الطلبي، مقام الناكر (خبر بمؤكدين أو أكثر) مثال (إن زيدا لعارف)، وهو الخبر الانكاري وعلى هذا التقابل الثلاثي في المقام الاعتباري للمخاطب: الحالي الذهن/ السائل المتحير/ الناكر، تتأسس المقاصد والمعاني والأخبار: خبر ابتدائي/ خبر طلبي/ خبر انكاري[3].

يوجه "السكاكي" في مفتاح العلوم الكتاب والشعراء والمتكلمين والخطباء إلى ضرورة اعتبار المقام ومقتضيات الأحوال في صناعة الخطاب، فالسكاكي إذ كان يتوجه بخطابه إلى الذين أنتجوا النصوص منبها على إيراد المسند إليه، فإن من رواية إعادة إنتاج المعنى

---

[1]-ينظر: محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص116-117.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص117.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص 110- 111.

وبلاغة التأويل يجب على المؤولين إلى ضرورة فهم هذا الأساس المعنوي والقصدي في انتاج المعنى عند التفهم والتفهيم وأيضا فحص الأساس التقابلي الذي يقوم عليه فهي التي تعين في ادراكه وتمثله[1].

1-5 المسلك الخامس:" الأساس التقابلي في البلاغة العربية":

يسعى محمد بازي في هذا المسلك إلى تبيين أسرار بلاغة التقابل التي تضمنتها علوم البلاغة العربية القديمة حيث أشار إلى مختلف التقابلات وعلى شكل عناوين والتي قمت بالإشارة إليها هم:

- التقابل الخفي في البنيات التشبيهية.
- البعد التقابلي في التمثيل.
- التقابل الخفي في الأساليب البلاغية الأخرى:

أ. التقابل في الكناية.

ب. التقابل في الالتفات.

ج. التقابل في المجاورة.

وختم المسلك بخلاصة تشمل موضوع المسلك وذكر أهم النقاط الواردة فيه.

1-5-1 التقابل الخفي في البنيات التشبيهية:

التشبيه من أهم الفنون البلاغية وأكثرها دورانا على الألسن شعرا ونثرا وتواصلا، ويقوم التشبيه على أساس تقابلي لا يدرك إلا بإعمال آلية التأويل فصانع الخطاب يبني التشبيه والمتلقي يعمل على الجمع بين طرفيه ومن ثم فهمه، فالتشبيه يقوم على أساس " تصور المعاني بشكل تقابلي انطلاقا من عالم تتقابل فيه الماديات بالمعنويات: ما يعرف بالحواس وما يعرف بالفكر"[2] ، فقد يشبه المعنوي بالمادي وهذا كثير في المنتوج الأدبي في سائر

---

(1)- محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص111.

(2)- المرجع نفسه، ص 20.

الحضارات وهذا التقابل الحاصل بين العالمين هو سر الابداع في التشبيه ومكمن ثرائه الدلالي.

1-5-2 البعد التقابلي في التمثيل:

التمثيل هو أن تمثل شيء بشيء آخر فيه إشارة له، وسبب تسمية المثل مثلا لأنه ماثل بحاضر الانسان أبدا يتأسى به، والماثل الشاخص والمنتصب قالوا:" في المثل ثلاث خلال: إيجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم:" المؤمن في الدنيا ضيف وما في يديه عارية، والضيف مرتحل والعارية مؤداة ونعم الصهر القبر".

وأعطى تمثيل عن معنى بلفظة موضوعة بمعنى آخر مثل" فلان نقي الثوب"، ومعناه لا عيب فيه، والتقابل الحاصل في هذا المستوى الصناعي هو أن المتكلم أراد معنى (أ) وهو" أن فلانا لا عيب فيه" من خلال إيراد معنى (ب) وهو" نقي الثوب" على سبيل التمثيل، ومن خلال هذا يفهم أن التقابل التمثيلي ليس تام الحضور وظاهر في البنية وإنما يستفاد بالفهم والتأويل وإيجاد العلائق المرتبطة بين البنية المؤولة هي المرادة وبين البنية الظاهرة وهذه الأخيرة غير مرادة وهذا قريب عن الكناية.

1-5-3 التقابل الخفي في أساليب بلاغية أخرى:

أ. التقابل في الكناية:

" الكناية تضم بناء قاعدي خفي التقابل، انطلاقا مما هو مصرح به مقابل غير مصرح به، وهذا كله مثل في القرآن الكريم:﴿أو جاء أحد منكم من الغائط أو تلامستم الناس﴾ فهي كناية عن قضاء الحاجة بالغائط وجمعه غوائطوغياط قيل للمطمئن من الأرض غائط ولموضع قضاء الحاجة غائط، لأن العادة أن يقضي في المنخفض من الأرض حيث هو أستر له، وبالملامسة عن الجماع وهو نوع التقابل الذي في المماثلة بين معنى المصرح

به ومعنى مكنى عنه لغاية لطيفة وبليغة، وهو تجنب التصريح والاكتفاء بالتلميح صونا للخطاب"[1].

ب. التقابل في الالتفات:

جل الأساليب البلاغية هناك نوع أو أكثر من أنواع التقابل والالتفات نوع تقابل قال جرير:

طرب الحمام بني الأراك فشاقني ** لازلت في غلل وأيك ناضر

هناك تقابل في هذا البين وهو تقابل الذوات (الشاعر/ الحمام) من خلال التفاته للحمام فدعا له، وينبئ بحضور ضميرين المتكلم في (شافني)، وضمير الخطاب في (لازلت)، هذا نوع من التقابل يعطي فرصة للمتلقي بتحديد ذوات التخاطب أو الذوات موضوع الخطاب، من خلال هذا يتضح المعنى. [2]

ختم الباحث والناقد محمد بازي هذا المسلك بخلاصة ومن أهم النقاط الواردة فيها هي:

- أسرار التقابل كثيرة والوقوف عند معالمه ظل غير واضح في ثقافتنا وتراثنا البلاغي والنقدي.
- وضع أسس بلاغة التأويل التقابلي وتوضيح معالمها.
- من أجل الوصول إلى حقيقة البنية التقابلية للأساليب القولية في مسألة التفكير البلاغي العربي عبر التجاوز والبحث من أجل التحيين وجعله في تطور حاصل في المعرفة بالنص.
- التقابل من الأسس التعبيرية الخفية التي تتحكم في مناحي التعبير.
- التقابل بنية خفية غير ملحوظة في ظواهر بلاغية أخرى كثيرة مثل: التشطير، طباق، الترادف، المقابلة.

---

[1]-ينظر: محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص 117.

[2]-المرجع نفسه، ص117.

1-6: المسلك السادس:" من بلاغة النص إلى بلاغة الخطاب":

"إن في تقابل المعاني باب عظيما يحتاج إلى تأمل"، وقد تناول محمد بازي في هذا المسلك التقابل وأنواعه ومستوياته: الكون المتقابل، والأزواج وانتظام الكون، الكون المتقابل في القرآن الكريم، والتقابل وتطالب المعاني البليغة ومستويات التقابل (الحكمة، الجملة، التقابلات الجميلة) وهذه تنقسم إلى: تمثيل أول وتمثيل ثان، ومن خلال هذا فالعناوين التي أثارت انتباهي هي:

1-6-1 : الكون المتقابل:

في هذا العنصر يسعى محمد بازي إلى تأكيد البعد الأنطولوجي للتقابل من خلال الكون المتقابل وأيضا التقابل في العلوم من أجل تأكد والتأكيد على سر جمال الخلق في الأشياء التي مصدرها الخالق عز وجل على التقابل في مستوياته الظاهرة أو الخفية[1].

أسرار التقابل كثيرة، ومعالمه غير واضحة في ثقافتنا لذلك تحاول هذه المقاربات بناء بلا غة التأويل التقابلي وتبيان معالمها في هذا الكون وكذلك العوالم الداخلية المتقابلة للنصوص وذلك للتأكيد على بلاغة الخالق[2].

1-6-2 : الكون المتقابل في القرآن الكريم:

الخطاب القرآني خطاب فريد في نظمه ولغته وإيقاعه ولكن الأهم من ذلك كله هو الكون المنتظم داخله، فقد أنطق الله الكون من خلال القرآن الكريم، ثم بين قوانين انتظامه، عن طريق الأزواج التي جعلها الله من مسلمات هذا الكون، وذلك يظهر من خلال قول الله عز وجل: ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾،[3] لقد بنى الله عز وجل الكون وأسسه على قانون الثنائيات ومن أدرك حقيقة هذا القانون فهم جانبا مهما من هذا الكون وأدرك علاقته به ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسكم أفلا**

---

(1)-ينظر: محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص 117.
(2)-المرجع نفسه، ص118.
(3)-سورة الذريات، الآية 49.

تبصرون﴾،[1] وقد فصل القرآن الكريم في هذه الأزواج تفصيلا عجيبا وبينه بيانا لا لبس فيه، وأبرز الأزواج المذكورة في القرآن الكريم والتي تبنى عليها أهم محاوره: (البقاء/ الفناء)، (الخير/ الشر)، (الدنيا/ الآخرة)، (الجنة/ النار)، (الغيب/ الشهادة)، (الإيمان/ الكفر)، (الثواب/ العقاب)، (الجن/ الإنس)، (الذكر/ الأنثى)، وغيرها من الثنائيات التي أدرك علماء التفسير أهميتها في فهم الكتاب الخالد واستكناه النعاني منه[2].

1-6-3: التقابل وتطالب المعاني:

المعاني يطلب بعضها بعضا بغاية التكامل وهذا كون منشأ التقابل عند صناعة النص تطالب بالمعاني، فالمعنى يكمل غيره، توسيعا أو تفريعا أو تأكيدا أو حتى تفسيرا، سواء أكان هذا التطالب بين النعاني الأول، أي بين معنى أساس قابل للتفريع، أو بين معاني ثوانٍ وهي المفرعة للأول أو بين معنى اول وثان، حيث قال حازم القرطاجني:" إن المعاني منها ما يتطالب بحسب الإسناد خاصة، ومنها ما يتطالب بحسب الإسناد وبحسب انتساب بعض المعاني إلى بعض في أنفسها بكونها أمثالا أو أشباها أو اضدادا أو متقاربات من الأمثال أو الأضداد"، وكل هذا ناتج عن قوة تخيل المعاني.

كما أن هذا حاصل عند صناعة المعنى في ذهن المنتج أيضا نجده حاصل عند التأويل، فالمعاني الظاهرة تطلب الباطنة أو ظاهرة مثلها، أو تطالب معاني أخرى تبين من خلالها أو تتوسع كون المعاني تكمل الأخرى.

ومن أهم النقاط التي توقف عندها محمد بازي في هذا المسلك ما يلي:

- التقابل معطى كوني وحضاري ولغوي ونصي وتأويلي.
- انتظام الكون الدقيق وفق ثنايات متجانسة وغير متجانسة وهما النظاه الزوجي المتقابل هو أساس الحياة.

---

[1]-سورة يس، الآية 36.

[2]-ينظر: بشير عزوزي، المرجع السابق، ص

- عند تحليل جملة واحدة عبر آليات التقابل التأويلي يتولد وجوه كثيرة للمعنى.
- التأويل التقابلي يتوجه إلى بنيات صغرى (جملة– نص)، كما يتوجه أيضا إلى البنيات النصية الكبرى (النص الطويل).
- يحضر التقابل حيث يحصل التأويل، والتأويل هو الذي ينشأ الأطر المتقابلة الغائبة انطلاقا من الأطر المماثلة، فالتقابل حضور نصي، واستحضار عبر التأويل. (1)

1-7 المسلك السابع:" التقابل رؤية للذات والعالم".

آخر مسلك ختم به محمد بازي هو المسلك السابع حيث أشار إلى النظرة التجزيئية وأعطي مفهوم النص، كون هذا الأخير أهم منطلق بوسع الباحث في التأويلات التقابلية، كما تحدث عن النقد الجديد ومن أهم العناصر التي درسهم موضحة في المخطط التالي:

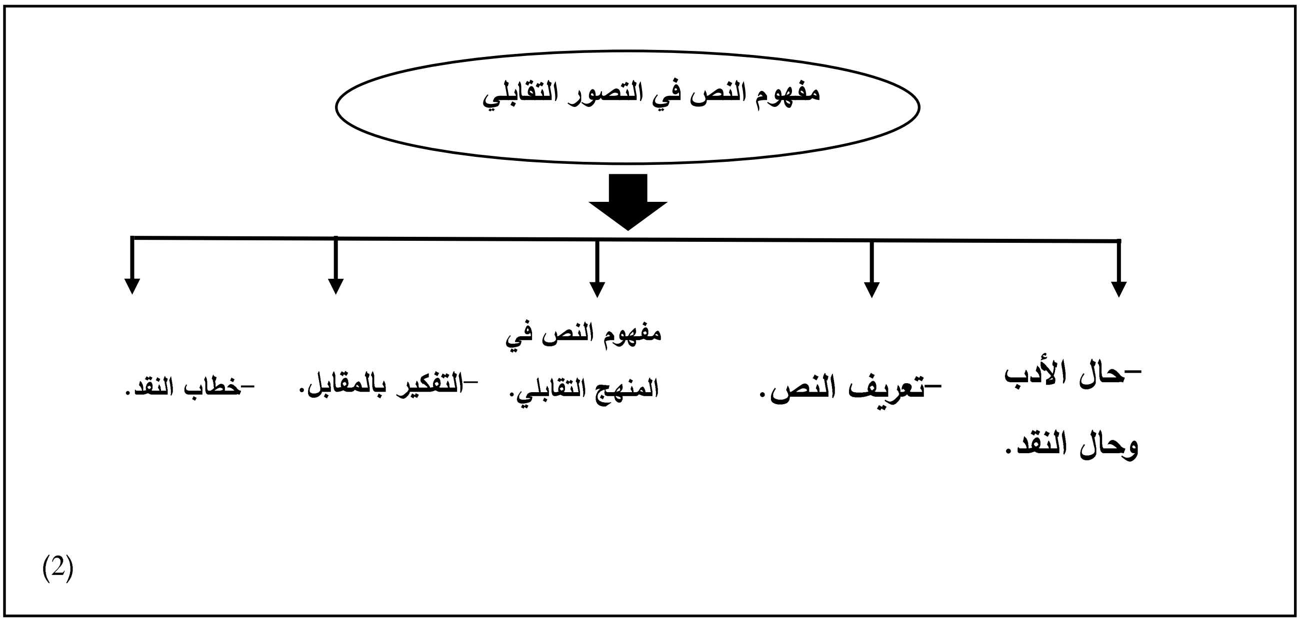

ومن بين هذه العناوين قمت بدراسة العنوان الثالث، بالتحديد كيفية تعريف محمد بازي النصفي المنهج التقابلي.

(1)-ينظر : محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص195-196.

(2)-ينظر : المرجع نفسه، ص196.

1-7-1 تعريف النص وفق التصور التقابلي:

تركز نظرية التأويل المعاصر على قضية التقابل وما يقدمه من إمكانات توسع المعنى وتكبره فإذا كان النص من تصور النص التقابلي هو:" مجموع التقابلات المعجمية والدلالية والسياقية المنتظمة فب الخطاب الذي تحمله والمحيلة على الكون الفسيح، والنص كونّ لغوي متقابل ومنطلق رحلات دلالية وتأويلية عالمة وبليغة"[1] ، إن هذا التحديد التقابلي للنص الذي يعتبر خلاصة النظر التقابلي يتميز عن كثير من تعريفات النص التي تكتفي في أغلبها ببنيته الظاهرة والعلاقات الداخلية المكونة له، فهو ينفسح على الظاهر والمضمر والحاضر والغائب والداخل والخارج.

ومن هنا فإن فهم النص لا يتحقق إلا بإدراك التقابلات التي تشكله سواء أكانت تقابلات ظاهرة أو مضمرة، حاضرة أو مستحضرة وهذا هو الرهان الذي تقدمه هذه النظرية انفتاحا للنص على نفسه وعلى غيره من النصوص.

التقابل في النص الروائي:" التأليف والتأويل":

لايزال النقد ينتج الجديد من المناهج القرائية التي تحاول فهم النص والإحاطة بزواياه المخلفة، إلا أنه إن منح جانبا للفهم فهو يخفي جوانب أخرى، ولطالما اجتهدت المناهج في تحقيق فهم شامل للظاهرة الأدبية وتعتبر نظرية التأويل التقابلي من النظريات التي تسعى إلى تحقيق نظرة متكاملة للنص الأدبي وذلك بالإحاطة بجميع زوايا النص الأدبي من خلال:

- التقابلات المؤطرة الكبرى للرواية.
- التقابلات الصغرى في النص الروائي.

أولا: التقابلات المؤطرة الكبرى للرواية:

والمقصود بالتقابلات الكبرى في الرواية تلك التقابلات الخارجة عن البنية اللغوية للنص الروائي مثل السياقات والتجارب والأفكار وغيرها مما يسهم كله في تأطير الرواية وتعد الرواية محصلة لتفاعله وأبرز هذه التقابلات:

---

[1]-ينظر: محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص206.

1-1 تقابل نص الرواية والتاريخ والمجتمع والذات:

تتنازع الرواية هذه العوامل فتظهر الذات مقابلة للمجتمع والتاريخ وما فيهما من معطيات تؤثر فيها، لأن أكثر الروائيين يأخذون مادتهم من التاريخ والمجتمع ويعيدون صياغتها وفق ما تقتضيه قوانين الإبداع الروائي ومن هنا فإن ادراك التقابل بين هذه العوامل أمر بالغ الأهمية، ومن التقابل تنطلق عملية القراءة التقابلية ويشترط في التعامل مع هذه التقابلات الإلمام بالتاريخ المؤطر للرواية وما فيه من أحداث وصراعات سياسية ودينية وكذا معرفة المجتمع الذي نشأ فيه الكتاب وما ينبني عليه من مظاهر وعادات وتقاليد وأفكار ومعتقدات؛ لأنها كلها ستكون متقابلة فيما بينها ثم بينها وبين الذات المبدعة[1].

1-2 التقابل بين المؤلف والنص والقارئ:

هذه الثلاثية هي معادلة الإبداع التي تتكئ عليها الممارسة التأويلية فللمؤلف مقاصد تحركه وتفجر ينابيع إبداعه، كما للقارئ مقاصده وافتراضاته التي تؤرقه وللنص أيضا مقاصده التي تحملها بنيته وتطق بها لغته، وإذا كانت هناك خصائص ذاتية في الروائي وظروف وسياقات تؤثر فيه، فإن للقارئ أيضا ذاته الخاصة والسياقات التي تؤثر فيه بل وتوجهه في بعض الأحيان[2].

1-3 تقابل النص والسياق:

للنص سياقان يؤثران فيه، سياق الإنتاج وسياق التأويل؛ فإذا كان النص محصلة لسياقات كثيرة فإنه يسير عبر الزمن وفق خط أفقي ويتعرض للقراءة في كل نقطة من نقاط هذا الخط وهنا تظهر أهمية سياق القراءة، فكل سياق قرائي يهب من المعطيات مالا يهبه سياق آخر، فقد ينظر في التأويل بظروف سياسية واجتماعية ودينية وغيرها، مما يعمل على توجيهه وجهة معينة كما أن السياق قد يهب في آليات القراءة ما لا يهبه سياق آخر، وهذا

---

(1)-ينظر: محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص343.

(2)-ينظر: المرجع نفسه، ص343.

مدرك معروف فالمعرفة في تطور مستمر، مما يجعل آليات القراءة تتطور ربما نتيجة المعرفة من نظريات ومفاهيم[1].

ثانيا: التقابلات الصغرى في النص الروائي:

تنتقل المقاربة التأويلية التقابلية من الخاص إلى العام سعيا لتحقيق الشمولية في القراءة عن طريق الإلمام بجميع زوايا النص فهي تحاول سد الثغرات القرائية والهفوات التأويلية الواقعة في المناهج السابقة خاصة وأن هذه المقاربة تتخذ من النقد الأدبي سندا مهما من أسنادها المعرفية بعد الإحاطة بالتقابلات الكبرى والتي تعتبر كمؤطرات خارجية للفعل الروائي، تغوص المقاربة التقابلية كوم النص عن طريق استكناه التقابلات الداخلية التي يحملها النص ميدان المقاربة ومن أهم هذه التقابلات:

2-1 التقابلات اللغوية:

تتجلى خصائص اللغة الطبيعية في الخطاب الروائي كونه واسع المساحة طويل النص ومن أبرز هذه الخصائص خاصية التقابل فنجد الكثير من التقابلات البلاغية واللونية والعددية والزمنية والمكانية والنفي والإثبات والفاعل والمفعول وغيرها مما يعد عاملا مهما من عوامل الفهم وبناء عالم الرواية الذي يستنسخ من العالم الأكبر وهو الوجود المتقابل[2].

2-2 تقابل الأمكنة والأزمنة:

لا تخلو الرواية من عنصري الزمن والمكان، بل هما التقنيتين السابقتين (الوصف وا لسرد)، فيتكون نسيج الرواية من فضاءات يختارها المبدع عن وعي ويستعمل لتلك الفضاءات ما يناسبها من القالب الزمني فكما أن اجراء التقابل ضروري بين الزمان والمكان فإن اجراء المقابلة بين الأمكنة مفتاح مهم لفهم مخبوء النص وبناء تصور عن الكاتب نفسه

(1)-ينظر: محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص344

(2)-ينظر: المرجع نفسه، ص 345-346.

فالأماكن لها دلالات كبيرة على خلفيات سياسية وتاريخية ودينية واجتماعية ونفس الأمر يحسب على الزمن. [1]

2-4 تقابل الوصف والسرد:

يقوم العمل الروائي على هاتين الدعامتين، فهما أسس الرواية ف" السرد رواية للحدث في تناميه والوقائع في جريانها، والوصف توصيف لغير معروف عند القارئ من طرف راوي يعرف الأوصاف بالعقل أو المعاينة والسماع"، ها تظهر طرقة التعامل مع هذا التقابل البارز في الرواية فالأحداث مقابلة لأوصاف السرد يعتمد على الحركة، أما الوصف فيمتاز بالسكون والتوقف؛ إذن نحن في مقاربة بين الحركة والسكون بالدرجة الأولى. [2]

---

[1]-ينظر : محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي" مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب"، المرجع السابق، ص 349.

[2]-ينظر : المرجع نفسه، ص348.

الفصل الثاني

الآليات القرائية لأطروحة التقابل

تمهيد:

كونت اللسانيات الحديثة مادة خامة تشكلت منها وتطورت عنها مناهج جديدة كالشكلية والبنيوية والأسلوبية والتفكيكية وغيرها، تنظر كا منها إلى النص الأدبي من جهة خاصة، وتعتمد جميعها اللغة أساسا في قراءتها، وقد أدى هذا التعدد إلى إغناء قراءات النص الأدبي، حيث أمكن تناول النص من عدة مناح تبعا للمنهج المختار للقراءة، وبات النص نصوصا أخرى لن نكن لنراها إلا بعدسة تلك المدارس المنوعة، وفي هذا الإطار الفكري والنقدي، سنعرض مقاربة تؤسس لمشروع قرائي واسع في مجالات الفهم والتأويل وتحليل الخطابات والنصوص بشتى أنواعها من خلال كتاب:" تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي" لمحمد بازي.

الكتاب هو امتداد وتوسيع وتطعيم لما ورد في كتاب سابق للباحث بعنوان:" التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي لفهم النصوص والخطابات"، يقدم من خلاله رؤية جديدة لقراءة النص الأدبي بمختلف أجناسه، انطلاقا من بنية عميقة مؤسسة للمعنى، قائمة على أساس التقابل كمنطلق قرائي يمكن العمل به لتحليل الظواهر الأدبية والفكرية، ومعالجة الأفكار والمعاني، وتذوق الأساليب الفنية والجمالية في مختلف النصوص والخطابات (الأدب، النقد، النصوص الفلسفية والدينية).

يقوم المقترح ا لقرائي في هذا الكتاب على المزاوجة بين التقديم النظري الموجز، والتقريب التمثيلي والتطبيقي المبسط لاستراتيجية التأويل التقابلي على نصوص دينية وأدبية مختلفة، وهو ما سنسعى إلى التوقف عنده في هذه القراءة عبر بابين اثنين، يتطرق أولهما إلى بعض عتبات الكتاب على مستوى بنيته المورفولوجية، وعنوانه ومقدمته، ويتطرق الثاني إلى عرض ملامح استراتيجية التأويل التقابلي في فصول الكتاب الستة، لنلخص بعد ذلك إلى خاتمة موجزة على ضوء ما تم عرضه.

أولا: حول الكتاب:

1-1 بينة الكتاب:

صدر كتاب:" تقابلات النص وبلاغة اخطاب نحو تأويل التقابلي" لحمد بازي عن دار العربية للعلوم، بيروت ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.

يضم الكتاب 183 صفحة، وهو من الحجم الصغير (20، 7×14سم)، ويعتبر امتدادا لمشروعه التأويلي الذي بسط ملامحه الأولى في كتاب:" التأويلية العربية: نحو النموذج التساندي في فهم النصوص والخطابات".

يحتوي الكتاب على مقدمة وستة فصول وخاتمة حيث تناول في الفصل الأول سورة الفاتحة الكريمة من منظور تقابلي لإبراز إعجازها وبلاغتها وحاول أن يقرب معنى هذه السورة للقارئ عبر المقترح القرائي، المشار إليه وفي الفصل الثاني عرض بلاغة الحجاج في كتاب:" إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي.

وطبق محمد بازي رؤيته التأويلية من خلال الفصل الثالث والرابع على نصيين من الشعر: حديث، نص" نسر" لعمر أبو ريشة، وقديم: نص مرثية مالك بن الريب التميمي الشهيرة من أجل الوقوف على بلاغة الخطاب الشعري، أما الفصل الخامس فقد قام بمقابلة بين قراءتين تأويليتين للكرامة الصوفية، أنجزهما مؤولان مغربيان معاصران هما: محمد مفتاح وعبد الفتاح كيليطو، وفي الفصل الأخير درس البناء التقابليفي خطاب الحكمة من خلال نموذج من" المحاضرات" للحسن اليوسي.

1-2 العنوان:

عنوان الكتاب يتكون من شطرين، الأول رئيسي والثاني فرعي: أما الرئيسي فيحمل تسمية:" تقابلات النص وبلاغة الخطاب"، والثاني بعنوان:" التأويل التقابلي"، الرئيسي يتكون من مركبين إضافيين" تقابلات النص" و" بلاغة الخطاب" وسأحاول أن أقف عند الدلالات

الجزئية لهذه المركبات، ثم استخلص دلالة عامة للعنوان، لأبني تصورا أوليا حول مضمون النص من خلال هذا العنوان" تقابلات النص وبلاغة الخطاب" نحو التأويل التقابلي[1].

- **تقابلات النص:**

أولا التقابل:

عرفه محمد بازي من خلال قوله:" هو محاذاة المعاناة بعضها ببعض، والتقريب بينها في الحيز الذهبي والتأويلي، عبر مواجهتهما ببعض (وجها لوجه)، لإحداث تجارب ما أو تفاعل معرفي أو دلالي تأويلي[2] " وهناك أنواع أخرى وأشكال متعددة، كتقابل الإبدال والتتميم والتشابه والتضاد والقلب والكناية وغيرها.

ثانيا النص:

أ. **النص لغة:** يفيد الرفع الإظهار، " ضم الشيء إلى الشيء وأقصى الشيء ومنتهاه[3]"، فهذا المصطلح يتداخل مع غيره من المصطلحات مثل الخطاب، لكن هذا التداخل لا ينفي حقيقة الفرق بينه وبين غيره من المصطلحات.

ب. **النص اصطلاحا:** عرفه محمد مفتاح بقوله:" مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"،[4] وعرفه أيضا "فاينرشWeinrich" النص من خلال قوله:" وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها البعض وفقا لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم

(1)- محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، دار العربية للعلوم والنش، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزار، ط1، 2010م، ص305.

(2)-محمد بازي: نظرية تأويل تقابلي: مقدمات لمعرفة بديلة للنص والخطاب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2013م، ص406.

(3)-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط6، 1997م، مادة:" نصص"، ص

(4)- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص120.

الجملة التي تليها فهما معقولا، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهما أفضل" [1].

أما محمد بازي عرفه بقوله:" بنية لغوية منسقة ذات صناعة ونسيج، موجهة إلى متلق وراءها منتج له مقاصد معينة، وهي قابلة للفهم والتأويل بأشكال متباينة وفي مقتضيات أحوال مختلفة"[2].

من خلال هذا التعريف نستنتج أن:" تقابلات النص" تحيل م منظور التأويلية التقابلية على مجموع البنيات المتقابلة لمكونات وعناصر النص، وفق علاقات تواجه، قابلة للملاحظة والوصف والافتراض والتوقع.

- **بلاغة الخطاب:**

أ. البلاغة سبق وأن عرفتها في تعريف" بلاغة التأويل".

ب. الخطاب: كما هو الشأن بالنسبة للنص اختلف كثير من الدارسون في تعريف الخطاب حيث عرفه محمد بازي بقوله:" النص المتداول في مقتضيات تخاطب معينة: زمان ومكان ومرسل ومرسل إليه، وكذا مجموع العلاقات الموجودة بين العناصر الخارج- لسانية، أي النص داخل أحوال تخاطب معينة"،[3] كما عرفه بينفست من خلال قوله:" وحدة لغوية تفوق الجملة، تولد من لغة جماعية"[4] ، كما عرفه بعبارة أخرى:" أي منطوق أو فعل كلامي يفترض راوي ومستمع وعنه الأول فيه نية التأثر في الآخر بطريقة معينة". [5]

---

(1)-محمد العبد: اللغة والإبداعالأذلي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع/ ط1، 1989م، ص36.

(2)-محمد بازي: التأويلية العربية، نحو نموذج التساندي في فهم النصوص والخطابات، الدار العربية للعلوم، بيروت منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011م. ص

(3)-محمد بازي: نظرية التأويل، المرجع السابق، ص415.

(4)- فرحان بدري غربي: الاسلوبية في النقد العربي الحديث، (دراسة تحليل الخطاب)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003م، ص4.

(5)-المرجع نفسه، ص40.

وعليه فعبارة بلاغة الخطاب الواردة في العنوان تحيلنا إلى البحث عن المعاني الظاهرة والعميقة في مختلف أشكال الخطاب، دينيا كان أو أدبيا أو تاريخيا أو علميا.

1-3مقدمة الكتاب:

بدأ محمد بازي مقدمة كتابه بمدخل مفاهيمي حدد من خلاله معنى التأويل التقابلي باعتباره:" استراتيجية قرائية لصناعة المعنى، يمكن الاشتغال بها لفهم النصوص والخطابات وتفهيمها، وهي اختيار إجرائي أساسه محاذاة المعاني بعضها ببعض، وتقريب بينها في الحيز الذهني والتأويلي، عبر مواجهتها (وجها لوجه)، لإحداث جاوب ما، أو تفاعل معرفي، أو دلالي وتأويلي" [1].

فالتقابل حسب محمد بازي، منطلق قرائي لتحليل الظواهر الأدبية والفكرية، ومعالجة الأفكار والمعاني، وتذوق الأساليب الفنية والجمالية في الخطاب والنص، من خلال عزل المستويات الدلالية وتشقيق المعاني، ثم إعادة بنائها عبر المراحل النحوية، والتركيبية والصرفية والأسلوبية والبيانية والدلالية وحتى الرمزية...

بعد كل هذا ينتقل محمد بازي إلى تحديد المقترح القرائي للكتاب وهو مقترح يقوم على:" المزاوجة بين التقديم النظري الموجز، والتقريب التمثيلي والتطبيقي المبسط لاستراتيجية التأويل التقابلي"،[2] مع اختلاف في مستوى التناول بين نص وآخر.

وتحتوي المقدمة أيضا إلى مجموع المقاربات التأويلية التي درسها الباحث محمد بازي في قراءته التقابلية لنصوص المختلفة قد أشار إليهم في المقدمة: القرآن الكريم (سورة الفاتحة) ومن تراث صوفي (كتاب إحياء علوم الدين) ومن الشعر القديم والشعر الحديث ومن القراءة التأويلية لبعض المعاصرين وختمها بالخطاب الحكمة مقتطف من كتاب المحاضرات للحسن اليوسي.

---

(1)- محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل التقابلي، المرجع السابق، ص 9.

(2)-المصدر نفسه، ص10.

إن هذه الاختيارات الإنتاجية المتنوعة للقراءة التأويلية حسب وجهات نظر الكاتب تساعد القارئ وتمكنه من اكتشاف إمكانيات كبيرة لبناء المعنى، مما سيجعل الخطاب التأويلي يبرز مدى قوته وجماليته.

ثانيا قراءة في فصول الكتاب:

2-1 الفصل الأول: الخطاب القرآني.

بدأ محمد بازي هذا الفصل بالإشارة إلى بعض النماذج من الدراسات التقابلية للنص القرآني، مثل: دراسة فايز عارف القرعان للتماثل والتقابل في القرآن الكريم، وأحمد أبو زيد حول التناسب البياني في القرآن الكريم:" غير أن هذه الدراستين رغم قيمتهما العلمية والمنهجية في مقاربة ظاهرة التقابل في القرآن توقفتا عند الحدود التحليلية لمظاهر التقابل وتجلياتها، وحدود خدمتها للمعنى"،[(1)] **(**وتندرج داخل الإطار الديني فقط**)**، أما من جهة أخرى نجد دراسات الباحث تسعى إلى توسيع اهتمامات التأويلية التقابلية لتشمل كل الأنماط النصية والخطابية في أفق تمتينها منهجيا وإعطاءها القوة التحليلية القادرة على الوقوف عند بلاغة النصوص وجماليتها.

ثراء الفاتحة:

يبدوا أن السبب الذي دفع الدكتور محمد بازي لدراسة هذه السورة بالذات يتمثل بأن في مضامينها تكثيفا بليغا معجزا، واختزالا للكليات المفرعة والموسعة في خفاياها فهي عنوان للقرآن الكريم وكل عنوان هو تجميع لمقاصد كتاب أو نص في أوله، لذلك يقف بازي مطولا عند هذه السورة لبيان بلاغتها وإيجاز معانيها وجمال أساليبها. [(2)]

[(1)]– محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص14.

[(2)]–ينظر: المرجع نفسه، ص14.

والثراء المعنوي الذي تزخر به الفاتحة وتكتنفه يمثل مدخلا مهما في إمكانية المشاركة التأويلية بالمقاربة التي اختارها، وحاولا الوقوف عند أبرز المحطات التقابلية الظاهرة منها والخفية، مقدمين بعض المفاتيح المفهومية والاجرائية لبناء المعاني والدلالات. [1]

ويبدأ محمد بازي بعرض السورة كما ثبتت في المصحف الكريم:

بــسم الله الرحمــــان الرحيــم 1

الحمد لله رب العالميـن 2 الرحمـان الرحـيم 3 مالك يـوم الديـن 4 إيـاك نعبد وإيـاك نستعين5 اهدنا الصراط المستقيـم 6 صراط الذيـن أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالـين 7 [2]

أولا البسملة: (بسم الله الرحمان الرحيم):

من أجل كشف أسرار الخطاب الكريم وبلاغته المعجزة بشير محمد بازي على القارئ أن يعتمد على خطة التأويل التقابلي ويستخلص من البسملة الإمكانيات التقابلية الآتية:" المتبرك(القارئ هنا)، والمتبرك به(الله تعالى)، وهناك تقابل خفي أشار اليه: المتبرك باسم الله مقابل التبرك باسم غير الله– العزة واللات مثلا– كما كان يفعل الجاهليون، إن حضور اسم الله دليل على صحة فعل التبرك به ونفي للتبرك بغيره".[3]

ويقول:" يسمح لنا المكون المعجمي" الله" بإبراز التقابل بين: الله– المألوه، والله أصله الإله، وهو اسم جنس يطلق على كل معبود بحق وبباطل، ثم غلب على المعبود بحق أما الله فلا يطلق الا على المعبود بحق"[4].

---

(1)– محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص15.

(2)–سورة الفاتحة: 1–7.

(3)– محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص16.

(4)– المرجع نفسه، ص16.

" وإذا تعمقنا في دلالة "أَلَه" نجد أنها تدل على التحير، لأن الله تتحير الأوهام في معرفته". عليه بناء على هذا المعنى فإن المتحيرين هم الخلق مقابل المتحيَّر فيه اللَّه تعالى، فكلما جـ اء توسع في البحث اللغوي كلما اثرت واعتنت القراءة بمعان جديدة، كذا فالمعاني اللغوية والمداخل المعجمية تضفى على التأويل التقابلي إمكانيات معنوية ثرية بيد أن القارئ الاعتيادي غالبا لا يتوقف إلا عند المعاني الظاهرة المشخصة، ويبقى استخلاص معاني دقيقة والعميقة من عمل المتخصصين من أهل اللغة والتفسير والفقه، فالتأويل التقابلي عملية متأنية لمكامن المعاني وكيفيات صياغتها[1] ".

فالدكتور محمد بازي يتابع حيثيات السورة المباركة وما تحمله من صفات الله عز وجل، إذ يرى أن صفة "الرحمان" تقابل صفة "الرحيم" ومما تجدر الإشارة إليه أن التقابل لا يعني فقط التضاد أو التماثل فحسب، وإنما يعني أيضا التكامل والتتميم"[2].

" فصفة "الرحمان" تتناول جلائل معاني الرحمة وعظائمها و"الرحيم" تتميم لما لطف منها والرحمة معناها العطف والحنو، ومنها الرحمة لانعطافها على ما فيها"[3].

ويرى محمد بازي أنه بالإمكان ملاحظة التقابل الثلاثي بين" الله، الرحمان، الرحيم"، فهو تقابل تميمي يظهر من خلاله إثبات معنى الألوهية الحقة، ومعنى الرحمة الكاملة بالعباد وفي الأخير تحقق من خلال ذلك التقابل وفيه تعليم للعباد كيف يتبركون به ويحمدونه ويمجدونه"[4].

وينقل محمد عن أبي حامد الغزالي:" إذا تفكرت وجدت الفاتحة على إيجازها مشتملة على ثمانية مناهج فقوله (بسم الله الرحمان الرحيم) نبأ عن الذات وقوله (الرحمان الرحيم) نبأ عن صفة من صفات خاصة، وخاصيتها أنها تستدعي سائر الصفات من العلم والقدرة

---

(1)-ينظر: محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص16.

(2)-ينظر: المرجع نفسه، ص17.

(3)-ينظر: المرجع نفسه، 17.

(4)-ينظر: المرجع نفسه، ص17.

وغيرها، وثم تتعلق بالخلق وهم المرحومون تعلقا يؤنسهم به ويشوقهم إليه، ويرغبهم في طاعته".[1]

ويوظف محمد بازي تقابلا ضمنيا في البسملة مما يفرح النفس ويشوقها، وفي ذلك مدعاة إلى الرغبة في الداعات خلافا للغضب الذي يوحش النفوس ويخوفها ويبعدها.

وبالتالي فحسب بازي تقوم القراءة التقابلية على العناصر الحاضرة والعناصر الغابة والمبنية على التأويل لأن النسق الأسلوبي هو الصورة اللغوية للظاهرة التي تثوي وراءها ضلال المعاني إلى أن يقف عليها ذهن مؤول يخصبها ومعنى ذلك أن العمل التأويلي ينطلق من تشخيص الوحدات التعبيرية ثم رصد شبكة علاقتها لجعل كل ذلك في مستوى واحد يعود إلى السطح أولا ثم يمتد إلى الذهن ثانيا. [2]

ثانيا قوله:(الحمد لله رب العالمين 2 الرحمان الرحيم 3 مالك يوم الدين):

يذهب بازي إلى أن "الحمد لله حاصل وهو تعليم من الله لعباده كيف يحمدونه مقابل الحمد لغير الله وهو متروك لأنه كفر وجحود وضلال، الحمد المطلق ثابت مقابل الحمد النسبي، بعض الحمد لا يدخل في تعليم الله لخلقه وما يريده لهم، ثم ان الحامدين هم المؤمنون والمسلمون مقابل المحمود (الله تعالى)، كما أن الحمد الدائم ثابت ومستقر مقابل الحمد المؤقت غير وارد إطلاقا".[3]

" كما يرى بازي الحمد كلمة تنطلق من الله أولا، تقابل بذلك الحمد من المخلوقين وهو تعليم من الله مقابل الحمد تبعا لذلك حمد من العباد والتعلم وقول الحمد لله دائما"[4].

---

[1]– محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص17

[2]-ينظر : المرجع نفسه، ص18

[3]-ينظر : المرجع نفسه، ص18

[4]-ينظر : المرجع نفسه، ص19

ويذهب بازي إلى أن" الحمد: ابتداء للكلام يفتح باب السؤال على الخبر: الحمد لمن؟ مقابل الخبر" لله" الذي يبعد كل التباس، ويؤكد حقيقة واحدة أنه الحمد لله، ورد الحمد الذي أراده الله لعباده مرفوعا الضمة دلالة على الثبوت والاستقرار وهو يقابل الحمد (المنصوب أو المجرور) وهو متغير غير وارد والحمد هو الثناء الكامل مقابل الذم: النقيض الغائب، ثم إن الحمد: حمد الله الكامل نفسه منذ الأزل يقابل حمد الخلق المشوب بالعلل، وقال إن الحمد والشكر" نصف الايمان" مقابل الصبر" النصف الثاني للإيمان"[1].

ويرى محمد بازي أن مجمل الخلاصات التي يمكن أن يفضي إليها استقصاء التقابلات التي في (الحمد لله) يمكن تجميعها كما يلي: أن الحمد لله دائم مستمر لا ينقطع لله وحده لا غيره، وذلك لشمول نعمه عمومها" الظاهرة والخفية" على خلقه، وفي الوقت نفسه أن الحمد لله لنفسه كان منذ الأزل لعلم الباري جل جلاله بعجز المخلوقين من عباده عن أداء الحمد الكامل له أو ما يستحقه من الحمد، وانه حمد كامل ممتد لا ينتهي ويستغرق الزمكانية عبر الحياة كلها، فالحمد شطر الإيمان العملي وهو أول الصراط المستقيم[2].

ثالثا قوله (رب العالمين):

يحاول هنا استقصاء التقابلات الآتية:" الرب يقابله ضمنيا وجود مربوبين، وهو يقابل دلاليا السيد المصلح والمدبر والمربي، الرب بالتعريف خاص بالله تعالى مقابل رب الشيء بالإضافة أي صاحبه مثل رب البيت، يصدق على المخلوقين، الرب مقابل المالك: أي مالك العباد وهم مملوكون، العالمون مقابل غير العالمين، كما أن العالمين تقابل الإنس والجن والملائكة والشياطين، والعالم الظاهر يقابل العالم الخفي، ويقابل أولو العلم (الملكوت) مالا يعقل إجمالا"[3].

---

[1]- محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص19.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص19.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص20.

إن تشقيق المعاني انطلاقا من الألفاظ اليسيرة، تمد وتمنح القارئ الواعي والمتفهم والمؤول بإمكانيات هائلة بغية التوسع في الدلالة، سواء تعلق الأمر بتقابل الترادف أم بالتماثل المعنوي، أو تقابل التضاد والتخالف، وذلك لتجلي الأشياء بنظائرها، أو بأضدادها أو بمتمماتها"[1]

وعليه فمعنى" رب العالمين سيدهم ومالكهم ومربيهم فالله هو الخالق المالك والعالَم هم المخلوق بتنوعه، مدين لله بإنعامه وخلقه وتربيته". فالمعنى المستفاد في اجراء التقابلات الممكنة هو تفرد الرب (تبارك وتعالى) بالربوبية المطلقة وقدرته على دبير شؤون الخلق واضافة الرزق والعطايا والنعم عليهم بمختلف ألوانها وأشكالها، ومن كانت كل أمور الخلق منطوقة به من بدايتها إلى نهايتها، فهو المستحق بالعادة والطاعة والامتثال التام عمن سواه، فالحمد لله لربوبيته وإلهيته وخلقه وإنعامه وإكرامه الخلق وعظمته وجلاله، ومن علامات ربوبيته هو ذلك اللطف الصادر من لدنه سبحانه إرسال الأشياء إلى الإنسانية لهذا يتهم إلى صراط المستقيم"[2].

رابعا قوله (الرحمان الرحيم):

هناك تقابل بل تتميم بين صفتي (الرحمان والرحيم) كما سبق أن أشرنا إليها، فدقائق ولطائف معاني الرحمة في صفة الرحيم إكمال لجلائل وعظائم معاني الرحمة في الرحمان، وهنا محمد بازي يقوم بمقابلة الصفتين المكورتين:" رب العالمين"، وتحمل هذه الأخيرة معاني العظمة والجلال وفي ذلك تهريب للعباد، فقولة ضمنيا بمعاني الرحمة في" الرحمان الرحيم"، وفي ذلك تقابل بين" الرهبة من الله والرغبة إليه" وذلك أعون على طاعته.

هذا وكما قال الله تعالى في تقابل البديع:"﴿**نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم 1 وأن عذابي هو العذاب الأليم**﴾.[3] ومن تمام نعم الله تعالى ولطفه بعباده أنه لطف بهم بأن

[1]-محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص20-21.
[2]-ينظر: المرجع السابق، ص20.
[3]-سورة الحجر، الآية 49-50.

عرفهم على ما ينالهم من الكمالات الدنيوية والآخروية، عن طريق الرسل والانبياء الذين حملوا الهداية والرحمة للناس جميعا"[1].

ومن المعاني الفرعية المتقابلة التي أشار إليها بازي داخل معنى الرحمة:" الرحمة بالماديات من المأكل والمشرب والملبس وغيرها من نعم الله لا تعد ولا تحصى والأنعام الروحية كما فيه حياة للقلوب والأرواح، وكل ذلك ضمن رحمة الله".[2]

خامسا قوله تعالى:" مالك يوم الدين":

هذه الآية يمكن أن تمنحنا إمكانيات تقابلية في نظر محمد بازي وهي: ملَك: الله مقابل المملوكين: العباد: مالك، قراءة صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، مقابل:" ملِك وهي قراءة صحيحة أيضا، و:" ملك" مقابل" يوم الدين"، الزمان يوم يقابل ضمنا المكان وفضاء الحساب ومكانه مملوكان لله سبحانه وتعالى فهو المالك الحقيقي لهما.

كما يحاول التوسيع من دائرة التقابل فيقول:" اليوم على الحقيقة من طلوع الشمس إلى غروبها مقابل اليوم على الاتساع ما بين بداية القيامة إلى حين استقرار أهل الدارين فيهما، وتسمح لنا كلمة "الدين" بتوليد معان إضافية، فيوم الدين يحتمل ضمنيا وجود المدين: المحاسب: الله تعالى مقابل المدانين: المحاسبين وهم الخلق، ومن ثمة فالامتلاك الكلي ليوم الدين حاصل لله تعالى، ويقابله كون الامتلاك الجزئي والكلي منتف في حقه تعالى.

كما أنه يشير إلى أن:" الممتلك امتلاكا تاما ليوم الدين، أحق بالحمد، أما المعاني الفرعية التي يمكن توليدها وتنميتها من ذلك فهي: مالك أبلغ في مدح الخالق مقابل ملك أبلغ في مدح الخلوقين، ينضاف إلى ذلك أن المالك دلاليا ملك في مقابل أن ليس كل مالك ملكا[3].

[1] -ينظر: محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص 21.

[2] - المرجع نفسه، ص21.

[3] - المرجع نفسه، ص21-22.

ويستتع ذلك على مستوى الشرح والتوضيح:" أن سائر الأيام عمل ولا حساب، مقابل يوم الدين حيث الحساب بعد انقطاع العمل بالموت، وحيث كمال الملك يوم الدين لله، ويقابله سلبا انقطاع أملاك الخلاق، ثم هو يوم للجزاء (أهل الجنة)، مقابل العقاب (أهل النار)، بناء على ما جاء به الناس من أعمال الخير مقابل ما جاءوا به م أعمال الشر"[1]. وكل ما يتعلق بهذا اليوم من مكونات يمكن استحضاره بشكل تقابلي لتتم الصورة، " وهو أسلوب حاضر بقوة في الخطاب القرآني، وفي عرض مشاهد القيامة، فالقرآن والأغنياء على سواء ينتظرون الجزاء والأحرار والعبيد كذلك، الذكور والاناث، المؤمنون والكفار".[2]

ومما يسمح بتقريب المعاني من القارئ سورة الفاتحة حسب محمد بازي:" هو عرض المعاني المفهومة عرضا تقابليا ومن ذلك أن نقص ملْك الخلائق يقابله كمال الملك والعدل لله تعالى"[3].

وحسب محمد بازي عندما وظف آلية التأويل التقابلي أنه يريد أن ينبه المتلقي علا بلاغة النص الكريم (الفاتحة خصوصا)، ويذهب أيضا إلى إمكانية تجميع المعاني التي منحتها لنا الّأبعاد التقابلية في السورة عن طريق استحقاق الحمد المطلق لله سبحانه وتعالى، الذي منشؤه القلوب العامرة بالإيمان على مختلف الأزمنة والأمكنة، لربوبيته وألوهيته وعظمته، ولأنه يملك مقادير الأمور يوم الحشر، هو الذي يمنح الثواب والعقاب والمتصرف المالك لشؤون العباد جميعا"، ومن ثمة فهو أدعى للرهبة والخوف، لأن مصائر العباد متعلقة بخالقهم فمن شاء أدخله الجنة، ومن شاء أدخله النار ومن شاء غفر له ومن شاء عذبه، إنه اليوم الذي تنقطع فيه أملاك الخلائق ويبقى الملك لله، وتثبت هذه الآية المعاد والجزاء والعقاب"[4].

(1)– محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص22.

(2)– المرجع نفسه، ص21.

(3)–المرجع نفسه، ص21.

(4)–المرجع نفسه، ص23.

سادسا قوله تعالى:" إياك نعبد وإياك نستعين":

من التقابلات الظاهرة في هذه الآية: تقابل نحوي ظاهر أصل مقابل بناء نحوي محوِل لغرض بلاغي عن الترتيب الأصلي، وقد أفاد المفعول المقدم حصر العبادة في الله وحده، مقابل الفاعل المؤخر (الذي أصله ضمير مستتر تقديره نحن)، كما" تمت مقابلة العبادة الدالة على الخضوع والالتحام الإيماني الكبير بالاستعانة القائمة على جلب المنافع ودفع المضار، ثم الانتقال الاسلوبي من الغيبة إلى الخطاب، مما يخلق جوا نشطا عند السامع، بناء تقابليا بديعيا في تلوين الضمائر أمو ما يصطلح عليه المتقدمون بأسلوب الالتفات، لذا يحقق الانتقال من ضمير إلى آخر، ونقل الكلام من أسلوب إلى آخر تلوينا بلاغيا، وفي ذلك اطراء لسماع المتلقي، خصوصا أن السورة يرددها المتعبدون في أثناء الصلوات كثيرا، وتنطوي بنية الزمن على الحاضر والمستقبل ويفصح عنها الفعلان (نعبد ونستعين)، وفيها دلالة على امتداد الفعل من الزمن الحاضر نحو المستقبل الممتد غير المحدد، ومهما بلغ العابدون من طول العمر فلن يعيشوا هذا الزمن اللامحدود الذي يدل عليه هذان الفعلان (نعبد، نستعين) مقابل ذلك فالإقرار بالحمد المطلق لله وحده، وحصر العبادة به وطلب الاستعانة منه دون سواء يشمل أعمار كل الداعين بهذه السورة المباركة، ومرتليها، في أي زمن عاشوا وفي أي مكان كانوا[1]".

" فالأساس في العبادة يكمن في ذوبان الانصهار في بوتقة التذلل لله الواحد والخضوع له، وفي ذلك إيذان بالضعف والاستسلام للخالق عز وجل، ثم يكتمل إظهار الافتقار إليه عبر مقابل مماثل وهو الاستعانة بالله وحده، وكلاهما طريق معبد مذلل للسالكين وتتفرع عنهما معان خفية"،[2] ذلك أن العبادة تقوم على تحلية النفس والإخلاص في أداء الشعائر مقابل الاستعانة وهي تزكية النفس من الشرك وطلب الحول والقوة من لله تعالى دون غيره ولا بد من الإشارة على تقديم العبادة وهي الوسيلة والسبيل، مقابل تأخير الاستعانة وهي الغايات

[1]- محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص27.

[2]-المرجع نفسه، ص24.

وكأن في ذلك إقرارا بضرورة إنجاز العمل وتقديم الطاعة وإظهار التذلل قبل طلب المعونة"،[1] وفي هذا إشارة واضحة إلى الأدب في التعامل مع رب العالمين سبحانه وتعالى.

ومن التقابلات الموجودة في آية ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ إذ يذهب إلى أن:" الاستعانة المرادة مطلقة غير محددة ومقابلها الضمني الاستعانة المحدودة في أمر معين، وهي غير واردة، وهو دليل قدرة الله تعالى على الاستجابة لكل ما يطلبه عباده، فلو حدد موضوع الاستعانة في امر واحد دقيق الفهم العجز عن إجابة كل الدعوات وذلك منفي ضمنيا، فقدرة الله تعالى تتسع لجميع حاجات عباده"[2].

ويحاول بازي أن يستخلص من هذه التقابلات المعاني والدلالات وإبرازها بأحلى صورة" بعد الحمد لله حمدا كاملا مستغرقا تاما لا نقص فيه ولا انقطاع لاستحقاقه العبودية، لأنه الخالق والرب والرحمان والرحيم، –يقر المؤمن– كما علمه الله أن يتضرع إليه ويدعوه بأن العبادة لله وحده والاستعانة عليها وعلى غيرها من أمور الدنيا مطلوبة منه وحده".

كما ذهب بازي إلى أن الآية (إياك نعبد وإياك نستعين) تختزل جانبين أساسيين من عقيدة المؤمن هما (التحلية والتزكية)، بمعنى تحلية النفس بالعبادة والإخلاص لله تعالى وتزكيتها بنفي مالا ينبغي وقد تضمنها التقابل الخفي المبني انطلاقا من الصراط المستقيم وهي دون جدال طريق تحلية النفس بما ينبغي وتزكيتها مما لا ينبغي.

سابعا قوله تعالى:" اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين":

يرى محمد بازي من خلال هذه الآية أن القراءة التأويلية بوسعها أن تختزل مجموعة من الإمكانيات التقابلية التي تساعد المتلقي فهمها، واستقصاء فضاءات واسعة من الدلالة انطلاقا من الآية:" الأمر الحقيقي مقابل الأمر الاستلزامي حيث أن الأمر هنا خرج عن

(1)– محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص24.

(2)–المرجع نفسه، ص25.

مقتضاه الأصلي الذي هو طلب الفعل على وجه الوجوب والالتزام- من مقام أعلى إلى مقام أدنى، ليتخذ معنى الدعاء والطلب والسؤال"[1].

" وبالعودة مرة أخرى إلى الآية الأولى نجد أن السورة كلها يحكمها تقابل نووي مركزي: مجمع الثناء والشكر مقابل مجمع المطالب والحاجات"[2].

ومعنى الهداية هنا هي:" الإرشاد والإمالة إلى الصراط المستقيم، وفي ذلك تقابل غدراك الداعي لأمرين متقابلين:" الصراط المستقيم مقابل الصراط غير المستقيم، وأصل الصراط: السراط من الاستراط، وكانت الطريق تسترط من يسلكها وهو تقبل آخر بلاغي بين الصراط على الحقيقة (غير وارد)، والصراط مجازا وهو المراد[3].

ويرى محمد بازي أن هذه الآية تحفل بإمكانيات تقابلية منها:" النعمة على الأولياء مقابل النقمة على الكفار، وهو كذلك تقابل ترغيب للمؤمنين وترهيب للمغضوب عليهم (اليهود)، والضالين (النصارى)، فالتقابل في هذه السورة ليس مقتصرا على الأسماء بل حتى على الضمائر، فمثلا الضمير المنفصل (إياك) الدال على الخطاب، يقابل ضمير المتكلم الموجود في (نعبد)، ثم المخاطب المفرد جمع المتكلمين والمعنى المفاد من ذلك أن الداعين كثيرون، وفي كل وزمان ومكان، أما من سئل الإعانة فواحد في كل زمان وكل مكان، وهذا دليل واضح وجلي على عظمة الله وربوبيته وقدرته على إجابة السائلين أينما ما كانوا، وحيثما نزلوا بغض النظر عن أزمنتهم ومطالبهم القريبة أو البعيدة، الصغيرة منها والكبيرة وهو معنى يدعوا إلى التأمل والتفكر في عظمة الخالق سبحانه"[4].

ومن خلال آلية التأويل التقابلي التي سار عليها محمد بازي في تحليله السورة الكريمة، يتضح أن كل كلمة من كلمات النص تحتوي على مضامين دقيقة، ومعان عميقة

---

(1)- محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص25.

(2)-ينظر : المرجع نفسه، ص26.

(3)-ينظر : المرجع نفسه، ص26.

(4)- المرجع نفسه، ص26-27.

وعلوم مختلفة وبلاغات داخلية موحية ذان قابلية كبيرة على التأويل وتوسيع معانيها:" فمن كان ضالا فهو يطلب الهداية الأولية، ومن كان مهديا فهو يطلب الاهتداء إلى ما يجهل من أسرار الصراط المستقيم، ومن كان مهديا عاملا فهو يطلب التثبيت والاستمرار، أو يطلب الاهتداء إلى طريق الجنة في الآخرة".[1]

أما في قوله تعالى:" أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم":

حيث يرى أن في هذه الآية تقابلات نصية بديعة ثرية، تفضي بنا إلى بناء معادن مهمة إذ يقول:" لاحظ أن الله أضاف النعمة إليه مقابل حذف فاعل الغضب وبنائه للمجهول، لأن النعمة فضل وخير، والغضب انتقام، فأضاف إلى نفسه أحسن الامرين وأفضلهما (النعم)، وخص غضبه بغيره، فالذين يغضبون لله هم ملائكته وأنبيائه ورسله".[2]

ويرى أيضا أن:" من بلاغة حذف فاعل الغضب معنى الاشعار بالاحتقار وتصغير شأن المغضوب عليهم، أما ذكر فاعل النعمة ففيه إكرام للمنعم عليه ورفع من شأنه فإن قلنا: هذا الذي أكرمه الخليفة فهو أبلغ في الثناء والتعظيم من قولنا: هذا الذي أكرم"[3].

وبعد أن انهبت الآلية التي استثمرها بازي من خلال تلقيه لسورة الفاتحة من الممكن أن نوجز خلاصة هذا الاستثمار في الآتي:

حاول بازي أن يبني نظرية جديدة له (التأويل التقابلي) من خلال عودته للمدونة التراثية ومن تجاربه أو قراءته للشراح والمفسرين وفهمه الخاص لنظرية التأويل وتجربة التلقي في مظانها الأوروبي لينتهي إلى منهج تركيبي لا يستنسخ التراث ولا يقحم المناهج المستوردة في معالجة النصوص القرآنية ذات الخصوصية الشديدة.

(1)-ينظر: محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص29.

(2)-ينظر: المرجع نفسه، ص29.

(3)- المرجع نفسه، ص29.

تعامل بازي مع النص القرآني على أساس أنه كلام الله الواحد، والمصدر الأول والمركزي في العبادات والمعاملات والقوانين لدى المسلمين بما جاء فيه.

جعل بازي من استراتيجية التقابل التي تقوم على المبدأ الانفتاحية وعلى التقريب بين العناصر والمستويات ذهنيا آلية إدراكية وتواصلية إنسانية.

اتخذ محمد بازي من استراتيجية التأويل التقابلي وسيلة لإثبات إعجاز النص القرآني ممثلا بسورة الفاتحة، وتأييد تماسكها النصي، وتضمنها المعاني التي تؤكد عمق النص الكريم في دلالته ولغته وبلاغته.

2-2 الفصل الثاني: الخطاب الفكري: التقابل وبلاغة الحجاج في كتاب" احياء علوم الدين للغزالي".

أسلوب الإمام الغزالي أسر كثيرا من القراء وجعلهم مرتبطين بكتاباته، ومتعلقين بها، لا يكاد الواحد منهم ينتهي كتابا مما ألف حتى يبحث عن غيره، وقد عاش محمد بازي هذه التجربة لمدة سنوات بدءا من كتاب" المتقدمين من الضلال" مرورا ب:" إحياء علوم الدين" وصولا إلى" جواهر القرآن"...، ومجموع رسائل الإمام الغزالي، وهذا ما دفعه إلى البحث في سر صناعة الخطاب التي يمتلكها، والبلاغة الرائعة التي يسحر بها قراءه ويأسر انتباههم. (1)

"انطلق الغزالي في تأليفه للكتاب من نسق تصوري واضح قائم على التقابلات ولذلك رتبه على المواضيع المحوري التالية: العبادات مقابل العادات، المهلكات مقابل المنجيات" (2)

كان محمد بازي يبحث في بلاغة الخطاب وسر صناعة الحجاج عند الغالي، ولا يلتفت إلى صحة المضامين من عدمها عند تطبيقه للمقاربة التأويلية التقابلية على كتاب الغزالي، حيث يقول" وبإمكاننا أن نبحث عن الإطار الكلي التقابلي الذي يحكم عملية التأليف والكتابة عنده، وهنا سيتبين للقارئ المهتم بأمور التأويل وجماليات التقابل أننا لن نبحث في

(1)- محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص31.
(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص31.

صحة المضامين، وانسجام المادة المقدمة مع الشريعة أو غير ذلك...، لذلك سنعني هنا بتحليل الخطاب وأسرار بلاغة الحجاج في صناعة الكتاب"[1].

ويمكن رصد أولى ملامح التقابل المركزي ألا وهي طريقة التقسيم ومنهجية التأليف التي تعكس تصورا شاملا واضحا لموضوع الكتاب، حيث قسمه إلى أربعة ارباع:" ربع العبادات مقابل ربع العادات، ربع المهلكات مقابل ربع المنجيات، وكل ربع يتكون من عشرة كتب"،[2] وأيضا هناك علمين متقابلين تقابل تكامل، أولهما علم المعاملة القائم على المجاهدات والرياضيات.

إن المشروع التأويلي للغزالي قام على أن "الدنيا مزرعة الآخرة"، وهو تقابل تؤول على ضوئه كل أفعال الإنسان التي يبني بها كماله عند الناس في الدنيا، وبين أفعاله التي يرتضى بها الكمال عند الخالق في الآخرة.

ومن أوجه التقابل التي اعتمدها الغزالي هو " التقابلي التمثيلي" كوسيلة للإقناع والتأثر، وهذا ما أشار إليه محمد بازي بقوله:" يعتبر التقابل التمثيلي من العناصر الاستدلالية البليغة التي ضمنت لكتابات الغزالي قوة حجاجية وإقناعيه"[3]. و" التقابل الأخلاقي" الذي يجسد مثلا تقال الطبيعة الشيطانية في الانسان مع الطبيعة الملائكية فيه، ففي الطبيعة الشيطانية يكون العقل مملوكا والقلب مرآة يعلوها صدأ المعاصي، وأما في الطبيعة الملائكية يكون العقل مالكا والقلب صقيل بنور الطاعات، ومن صفات الطبيعة الشيطانية: الخبث، الوقاحة، الرياء، المجانة، العبث، الحرص، الجشع...، أما صفات الطبيعة الملائكية: العلم، الشجاعة، الحكمة، الكرم والعفة وضبط النفس وغيرها.

وفي الأخير تبين أن المشروع التأويلي للغزالي في كتابه" الإحياء" ارتكز على البحث عن معاني أسرار المحاور الكبرى التي قسم إليها كتابه، متبعا في ذلك نسقا منهجيا وتأليفيا

(1)– ينظر: محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص31.
(2)– ينظر: المرجع نفسه، ص32.
(3)– المرجع نفسه، ص65.

قائما على أساس مجموعة من التقابلات المستسقاة من الكون والحياة والدين، ولها دور في الإقناع والتأثير.

2-3 الفصل الثالث: التقابلات النصية وأثرها في بلاغة الخطاب الشعري:

الشعر قول وإحياء، مبني على أساس من التقابلات كالتكثيف والاختزال والإظهار وهو قابل لأن يقرأ على مستويين: ظاهر معبر عنه، وباطن مسكوت عنه، والقراءة التأويلية هي من أنجح القراءات المنهجية التي تشتغل على هذين المستويين معا، وتسمح بفهم الأسس الجمالية التي يتأسس عليها القول الشعري، حيث اهتم في هذه الدراسة على نظام خاص، عمل من خلاله على تقسيم القصيدة إلى مجموعة من الوحدات الكبرى، بلغ مجموعها عشر وحدات، فكلما وجد عددا من الأبيات تدور حول المعنى نفسه إلا ووضع لها عنوانا كبيرا، وهو ما أسعى أن أبنيه رفقة الباحث في رحلته التأويلية لمرثية بن الربيب التميمي، عبر تتبعه القصيدة جزءا جزءا[(1)].

2-3-1 مطلع القصيدة (الأبيات من 1-5):

كان مطلع هذه القصيدة حاملا لمجموعة من التقابلات محورها ذات الشاعر مقابل الآخر (المرأة)، على عكس شعراء القدامى الذين كانوا يعتمدون على مقدماتهم الطللية والغزلية، إضافة إلى تقابلات أخرى كالزمان والمكان، الماضي الحاضر، الشباب الشيوخ، الواقع الصعب وغيرها[(2)].

2-3-2 الزفرة والقناع الأبيات من (6-9):

"ظلت المعاني تتوالد في خلد الشاعر بهذا المنوال التقابلي القائم على التجاذبات الثنائية والجدلية والتفاعلية، وهي تكتمل شيئا فشيئا لتفصح عن تجربته الراهنة والماضية معا"[(3)]. ذلك أن التأويل التقابلي لهذه الأبيات أن الشاعر ظل يبكي على الدنيا من خلال

---

(1)- ينظر: محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص72.

(2)- المرجع نفسه، ص80.

(3)- المرجع نفسه، ص80.

حرصه على تحصيل المال والعودة بالغنيمة مقابل عقيدة الجهاد التي كان من المفروض أن يعلن عنها في القصيدة.

2-3-3 الظبية السانحة الأبيات من (10-24):

هذه الأبيات تزخر بمجموعة من البنيات الدلالية المتقابلة وكشف عنها، التي يتأسس عليها الخطاب الشعري أثناء صياغته، ولذلك حاول محمد بازي أن يعيدها إلى منطلقاته الأولية، وهذه البنيات تزيد النص ثراء وعمقا وتسيريه نحو إدراك الأشياء بمقابلاتها ومنهم: استدراج المكون الحيواني "الطيبة" في بعدها الجمالي المغيب وحضور بعدها التأطيري التشاؤمي، وهو من التقابلات البديعية في بناء القول مع اختصاره وتركيزه، فإقصاء البعد الجمالي للظبية كما هو مصروف ثم استبداله ببعد الإنذار والإخبار بالمأساة، وهي طاقة جوهرية مضمرة في القول، يستقصيها البحث عن الدلالات والمعاني(1).

2-3-4 القيم المتروكة الأبيات من (28- 36):

"يقوم هذا المقطع على تجليات ثنائية أخرى عميقة"، ويحمل أيضا كثير من التقابلات البنائية التي تثوي ورائها دلالات كثيرة، وسيتبين للقارئ العلاقة بين هذه العناصر المختلفة وتقوم على التضاد أو التماثل أو التوازي أو التتابع أو التجاوز أو السببية أو الزمن أو البعضية أو التواتر أو التقابل أو الترادف أو التكرير، أو تقابل طرفي الخطاب أو تقابل تركيم أفعال تسير في اتجاه تداولي واحد...، لكنها تتساند لتشكل المشهد الشعري الذي يروم الشاعر تصويره ونقله إلى المتلقي مباشر وغير مباشر"،(2) هذه الأبعاد التقابلية ساهمت في تصوير المشهد النهائي لحياة الشاعر عبر انسياب، أي تعبير وثائقي قائم على تصور العالم تصورا مزدوجا وثنائيا.

(1)-ينظر: محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص83.

(2)- المرجع نفسه، ص88.

2-3-5 الصدى وصداه الأبيات من (37-43):

من التقابلات التي يمكن الوقوف عندها في هذا المقطع هي: إثبات ظاهر ونفي مضمر، سريع إلى الحرب متثاقل للإغاثة، وهي تقابلات بنيت على اختيارات دقيقة في زمن الشباب الذي ولى ويتعرى ذاته في الأمجاد والمفاخر التي سلبت منه لحظة المرض والعجز والانهيار[1].

2-3-6 عندما يبكي الحصان صاحبه من الأبيات (25-27):

في هذه الأبيات يسعى إلى" تبيان الآليات التقابلية التي بإمكانها أن تسعف المحللين ودارسي الخطابات ومدرسيها بالأداة التحليلية والتأويلية لمقاربة بعض الظواهر النصية عبر تجربتها وتطبيقها[2].

نقف في هذه الأبيات عند التقابلات البنائية ثم التأويلية، وذلك ما سنوضحه من خلال الجدول التالي:

المتذكر	مقابل	المتذكر
تذكرت (الماضي).	مقابل	الزمن الحاضر المقصود.
بكاء (من) العاقلون.	مقابل	بكاء ما (غير العاقل).
" لم أجد" المختارة.	مقابل	"وجدت" الغائبة فعليا وحضوريا.
" أجد" (الزمن الحاضر).	مقابل	"لم أجد" قلبت لم النافية الزمن إلى الماضي.
لم يبكي من يبكي.	مقابل	بكى ما لا يبكي.
البكاء الحقيقي منعدم.	مقابل	البكاء المتوهم حاصل.
بكى السيف والرمح.	مقابل	بكى الحصان المتروك.
ارتواء الفرس حاصل دون	مقابل	ارتواء الفارس غير حاصل دون فرسه.

(1)– محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص89.

(2)–المرجع نفسه، ص89.

صاحبه.		
العنان الذي يجره الفارس.	مقابل	العنان الذي يجره الفارس.
ارتواء الشاعر الحقيقي غير ممكن.	مقابل	الارتواء الوهمي الحاصل.

(1)

2-3-7 مالك الذي لا يملك الأبيات من (57-65):

تفجر إحساس الشاعر القاسي بلحظة دفنه في مكان بعيد عن أهله وموطنه، فعبر عنه بمجموعة من التقابلات الحاضرة ضمنيا في بنية هذا المقطع، [2] وهي تقابلات تبرز مدى الجزء الذي شعر به الشاعر ساعة احتضاره، وحسرته على الدنيا المتروكة بناسها وأمكنتها الجميلة وعيسها وبقرها وملذاتها[3].

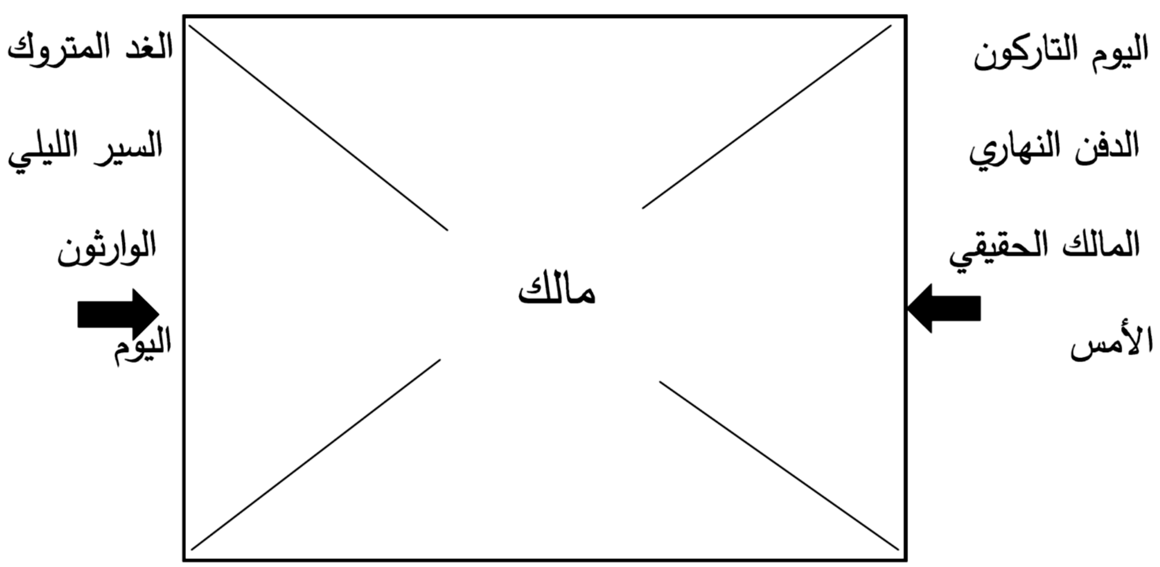

---

[1]- محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص89.

[2]- المرجع نفسه، ص80.

[3]- المرجع نفسه، ص80.

2-3-8 نسوة لو شَهِدْنَنِي الأبيات من (57-65):

هذا المقطع الأخير يضم مجموعة من التقابلات التي تعبر عن انفعال الشاعر باللحظة التي يعيشها كامل تفاصيلها (الموت، الاحتضار)، وهي لحظة تؤجج مشاعر الحزن والبكاء، حيث يطلب من صاحبه تبليغ الحبر عنه وتعرية القلوص –الإبل– مما تحمل" لأن في إزالة الركاب عنها سيمياء وعلامة على أنها فقدت صاحبها، وعندما يراها الأهل دون حمولة ودون راكب، فذلك علامة على الفقد الأكبر والعودة والخاسرة عودة الناقة وحيدة دون صاحبها[1].

حاول محمد بازي من خلال هذه التجربة الإنسانية إبراز دور القراءة التأويلية المبينة على أساس التقابلات والثنائيات في الفهم الدقيق للأسس الجمالية التي يتأسس عليها القول الشعري، عبر توليد المعاني انطلاقا من مداخلها اللغوية، النحوية، البلاغية، الدلالية، والتوازيات والتقاطعات والتماثلات. [2]

2-4 الفصل الرابع: تقابلات النص وبلاغة الخطاب الشعري الحديث:" قصيدة نسر لعمر أبي ريشة":

ركز الشاعر ووجه عنايته في مقاربة شعرية النص إلى العناصر اللغوية والتركيبة والالوبية والرمزية، والبنيات الاستعارية والمجازية وغير ذلك، إلا أن نظرة الباحث محمد بازي قلما تطرقت إلى البنيات التقابلية باعتبارها مؤطرة العناصر السابقة، وتعتبر على مستوى حاضر بقوة في جمالية الخطاب الشعري وبنائه لذا تأتي محاولة بازي في هذا الصدد – لإعادة الاعتبار لهذا العنصر من خلال قراءته التأويلية انص شعري حديث– لعمر أبي ريشة تحت عنوان" النسر "[3].

---

[1]-ينظر : محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص103

[2]-ينظر : المرجع نفسه، ص103.

[3]-ينظر : المرجع نفسه، ص105.

تمد القراءة التأويلية لنص ما القارئ بأنواع من التقابل وهي:" بمثابة مفاتيح لولوج عوالم المعنى منها: التقابلات المؤطرة، التقابلات الفرعية داخل النص وغيرها، تقابل النص والعنوان، تقابل المعاني، تقابل الحالات والوضعيات التقابلية النحوية، التقابلات البلاغية، التقابلات الايقاعية، تقابل مواقع الشك وماقع اليقين".[1]

ومن التقابلات الأولى التي يمكن الوقوف عندها: تقابلات العنوان التي تعطي القارئ وتزوده بإمكانيات تأويلية خصبة، يلح من خلالها عالم النص عبر الربط والتنسيق بينهما، وهذا العنون" نسر" يمدنا بالتقابلات التالية:" نسر إنساني مقابل نسر حيواني، نسر السفوح مقابل نسر الأعالي، نسر حي مقابل نسر ميت، نسر معرفة مقابل ننسر نكرة، نسر مذكر مقابل نسر مؤنث، نسر قوي مقابل نسر ضعيف، نسر مفرد مقابل نسر جمع، نسر حقيقي مقابل نسر رمزي..."، [2] هذه الافتراضات التقابلية التي يسمح بها الدال" نسر" تمنح القارئ سيناريوهات تأويلية متشعبة تتأكد أو تنفى مع تنامي المسار القرائي للنص، ليصل القارئ في الأخير إلى أفق تصويري محدد ومنسجم مع الجسد الدلالي له.

البنية التقابلية في باقي أجزاء القصيدة تسير على نفس المنوال يعني بشكل تشعبي، وعبر تقابلات فرعية بين البنية الظاهرة والخفية لأبياتها وهو ما أعطى للقصيدة بلاغتها وشعريتها المميزة، وبالتالي يبنى المعنى وصداه العالم ومثاله القول وضلاله وفق تقابلات متوازيات دلالية حاضرة وغائبة في بنية الخطاب[3].

2-5الفصل الخامس: "الخطاب التأويلي":

يسعى محمد بازي إلى انجاز مقاربة تقابلية لباحثين مغربيين معاصرين عبد الفتاح كليطو ومحمد مفتاح وذلك من أجل تأكيد أن التأويل ما هو إلا مجموعة أفعال تساندية تبادل العون وتنفتح على بعضها البعض خالقة ما يشبه ورشة عمل قرائية، هي منطلق الفهم

---

(1)– محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص110.

(2)– المرجع نفسه، ص110.

(3)– المرجع نفسه، ص 110.

والافهام، ومبدأ التقابل صالح لأن تدرس به مختلف الخطابات والنصوص، مثلما سبق الإشارة إليه، لهذا نجد الباحث والناقد محمد بازي حاول اكتشاف نجاعة هذا المبدأ من خلال تطبيقه على الخطاب التأويلي[1].

اتجه بازي في بداية الفصل الخامس من كتابه إلى تبيان الفرق بين مفهوم النص والخطاب وحدودهما وأهم الفروقات بينهما، باعتبار النص عتبة ومدخلا ضروريا لمن يريد تناول قضية نظرية أو معالجة نصية وفق تصور منهجي محدد وفصله على مجموعة من المفاهيم المجاورة له مثل الخطاب والأثر الأدبي يقول المؤلف:" وبناء على ذلك يجب أن ينظر إلى النص على أنه بنية لغوية متسقة ذات صناعة أدبية ونسج جمالي موجه إلى متلق ووراءها منتج له مقاصد معينة، وهي قابلة للفهم والتأويل بأشكال متباينة، وفي مقتضيات أحوال مختلفة، أما الخطاب فهو النص المتداول في مقتضيات تخاطب معينة: زمان ومكان ومرسل ومرسل إليه، وكذا مجموع العلاقات الموجودة بين العناصر خارج –لسانية، وباختصار فالخطاب هو النص داخل أحوال تخاطبية معينة[2].

إن تأويل الدكتور محمد بازي للخطابيين التأويليين لمحمد مفتاح وعبد الفتاح كليطو ينصب على كشف منهج الدراستين وتتبع آليات تحليلهما للنصين المنقبيين قيد الدراسة وفق مقاربة تأويلية تقابلية، وهكذا تبين للمؤلف أن تأويل النافدين يختلف على مستوى المنهج والطريقة لكنه يلتقي على مستوى العناية والمقصد[3].

فما يميز تأويل عبد الفتاح كيليطو هو أنه يتفاعل مع النص بعيدا عن محدودية وعتاد المفاهيم" المناهج" إذ ينصب اهتمامه على الانصات لنبض النص، باحثا عن كنوزه وجواهره التي تميزه، إنه تأويل يتجاوز ضيق المنهج إلى فضاء أوسع وأرحب في التحليل أما تأويل

(1)-ينظر: محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص129.
(2)-ينظر: المرجع نفسه، ص129.
(3)- المرجع نفسه، ص 130

محمد مفتاح فيتسلح دائما بمنهج معين، ثم يسعى إلى البحث به في النص عما يتماشى ومبادئه وأصوله التي يقوم عليها[1].

وتتحكم في تأويلية عبد الفتاح كيليطو لنص المنقبة مجموعة من الآليات التي تسعفه في تحقيق نوع من الترابط المنطقي فيما بينهما، كالافتراض والفهم، وبناء المعنى والترجيح والتحقق عبر الأشباه والنظائر، وهكذا يتجاوز عبد الفتاح كيليطو الفضاء الضيق الذي ترسمه اللغة إلى فضاء أرحب ينفتح على كل العناصر السياقية التي تتقاطع معه أفقيا[2].

وبالعودة إلى تأويل محمد مفتاح تبين للدكتور محمد بازي أنه يقوم على جهاز نظري وفروض وقواعد أسعفته في كشف ما يقوم عليه النص من ثنائيات تتضافر في بناء وتشكيل المعنى، يقول:" يستند التأويل عند مفتاح على جهاز نظري وفروض وقواعد ومفاهيم، وهو ما ساعده على اكتشاف الـ ثنائيات التي تقوم عليها حياة النص: الوجه الظاهري/الوجه الباطني، المعنى الحرفي/ المعنى المجازي، عالم الإمكان- الموضوع الأول/ الموضوع، المشبه/ المشبه به.

وفي آخر الفصل ختمه محمد بازي بأنه مهما تعددت الأساليب وإجراءات التأويل وتباينت بين النقاد فالتأويل يتخذ مسارا دائريا، يبتدئ من النص، ثم ينفتح على السياق ليعود إلى منطلقه الأول، كما هو الحال عند الناقدين المغربيين الذين اشتغلوا على النص المنقبي، إذ على الرغم من تباين منهجيتهما في المقاربة والتحليل، إلا أنهما يلتقيان في الاشتغال على ما اسماه المؤلف بدوائر النص الصغرى، كالمعجم والتراكيب النحوية والبلاغية والرمزية، والعلاقات بين البنيات النصية...، كما يلتقيان في دوائر النص الكبرى، التي تسهم في توسيع مجال قراءة النص عبر ملابسات الإنتاج والمؤلف والظروف الاجتماعية والسياسية، التي أسهمت في انتاجه.

---

[1]-ينظر: محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص130

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص131.

2-6 الفصل السادس "البناء التقابلي في خطاب الحكمة":

كما توقفنا مع الباحث في فصول السابق على دور خاصية التقابل في صناعة المعنى وتجلياته في تأويل نصوص متنوعة قرآنية، صوفية...، يأتي الدور هنا جنس أدبي آخر، وهو نص حكمي "أورده اليوسي في كتاب" المحاضرات" ضمن المتعلق بكلام الأذكياء، هذه القراءة التأويلية تأتي لدعم الجوانب التصويرية والمنهجية التي أشار إليها الباحث، فكيف ذلك؟

ومن أهم سمات خطاب الحكمة التقابلات البنائية: اللفظية، المعنوية، التركيبية، الأسلوبية والبلاغية...والكشف عن هذه التقابلات هو غاية الباحث في هذا الموضع، حيث يلا حظ أن أول تقابل مركزي يمكن استخلاصه من النص هو" أثر الواقع مقابل أثر حركة النفس فكل ما هو خارجي تبين أنه ناقص أو مزيف، وكل ما استخلصته النفس والوجدان والعقل تبين أنه حقيقي، إنه تقابل الحقائق والأوهام[1].

هذا التقابل المركزي تفرعت عنه تقابلات فرعية أخرى في شكل ثنائيات تكتفي بإيراد بعضها مثل:" القدر حق/ الحرص باطل، الغدر طبيعة/ الثقة عجز، الموت نازل حتما/الاطمئنان إلى الدنيا حمق..."[2].

تحمل هذه التقابلات بعدا عميقا، ينم عما استخلصه الكاتب من حكم عل ضوء تجربته الحياتية والمعرفية وخلاصات علاقته بالقيم والحياة والناس.

---

(1)–محمد بازي: محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، المرجع السابق، ص 159.

(2)–المرجع نفسه، ص160.

خلاصة الفصل الثاني:

وما يمكن أن نستخلصه مما سبق وإن ذكرناه أن كتاب محمد بازي يعتبر من أهم الأعمال النقدية التي أحسنت توظيف المقاربة التأويلية التقابلية في فهم النصوص وتحليلها، وأيضا سعى إلى تأسيس جمالية تأويلية تعتمد على الطاقات الدلالية والمعنوية التي تختزلها اللغة والتراكيب في نصوص مختلفة، وقد انصب اهتمامه على دراسة مجموعة من الخطابات استنادا إلى مبدأ التأويل التقابلي باعتباره استراتيجية قرائية لصناعة المعنى في مختلف النصوص والخطابات، وعملا بهذا الوعي اتجه الدكتور محمد بازي سبر أغوار معاني الخطاب القرآني وذلك انطلاقا من محاولة إعادة بناء معاني سورة الفاتحة التي ما فتئت تدهش الناس ببلاغتها وإعجازها، ثم وقف على سر صناعة بلاغة الحجاج عند الإمام أبي حامد الغزالي في كتابه:" إحياء علوم الدين"، ومن أجل تأكيد أن هذه المقاربة التأويلية التقابلية في التحليل صالحة لدراسة معظم الخطابات، عمل محمد بازي على تطبيقها على النص الشعري في شقيه القديم والحديث، بهدف الوقوف على بلاغه، ثم وظف المقاربة نفسها في تحليل الخطاب التأويلي عند كل من عبد الفتاح كيليطو ومحمد مفتاح.

من خلال هذا كله تبين للدكتور محمد بازي أن التأويل التقابلي يقوم على استراتيجية خاصة تنهل وتستفيد من كل المناهج الأخرى، ففي كل قراءة يمكن لنا الحصول على مفاهيم وآليات جديدة وهذا ما أتاح لمحمد بازي تأسيس بلاغة تأويلية منتجة ذات طعم خاص بين مختلف التأويلات الحديثة.

خاتمة:

خاتمـــــة:

في خلاصة هذا العرض البسيط حول نظرية التأويل التقابلي عند محمد بازي التي تضمنت مفاهيم كثيرة واقتراحات عديدة لفهم النص سعى صاحبها على الدوام للاستفادة من التراث العربي وتنوع مدوناته خاصة ما تعلق بالبلاغة والنقد وطعيمها بنتاج النظريات التأويلية الحديثة العربية منها والغربية واستثمار كل الجهود المهتمة بدراسة المعنى والخطاب في إثراء النظرية حتى تصبح قادرة على قراءة النصوص والخطابات على اختلافها وتنوعها، فإن النظرية لدليل على أصالة الباحث وجرأته في تحويل عمل المفسرين والشراح إلى قاعدة، انطلاقا نحو نظرية تأويلية متكاملة في تصورها.

- ✓ سعى الكاتب محم د ازي من خلال مؤلفه هذا إلى تأسيس جمالية تأويلية تعتمد على الطاقات الدلالية والمعنوية التي تختزلها اللغة والتركيب في نصوص مختلفة وعلى التقابل الذي يشكل العمود الفكري لأنساق التواصل، من خلال مجاورة المعاني بعضها ببعض والتقريب بينهما على مستوى التصور والتعرف والإدراك تبعا للعلاقات والبنيات البلاغية وعلى إثر ذلك عد التأويل التقابلي بحق استراتيجية وآلية فعالة لصناعة المعنى وفهم النصوص والخطابات وتفهيمها.

- ✓ فبعد أن كان التقابل مبحثا يخدم تساندية الدوائر الصغرى والكبرى أصبح تصور الكون المتقابل الذي ينعكس على مرآة العقل المفكر بالتقابل لينتج النص المتقابل في بنيته مستدعيا التأويل التقابلي لإعادة قراءته شريطة أن يكون هناك المؤول البليغ الذي تحققت فيه الكفاية التأويلية.

- ✓ لقد بذل الباحث جهده في تأصيل نظريته من خلال عودته للمدونة التراثية والاستفادة من مناهجها كما بدا جليا في تجربته مع المفسرين والشراح من جهة ومن جهة ثانية استثماره المبحث البلاغي القديم (التقابل) بإثرائه بأنواع جديدة من التقابل وتوسيع مفهومه لتبتني عليه نظرية تأويلية يمكن الاستفادة منها في قراءة النصوص على اختلاف أنواعها.

- ✓ أثمن جهد الباحث لما قدمه من تجربة غنية في نظرية التأويل التقابلي تضمنت مفاهيم كثيرة تستحق الوقوف عندها والاستفادة منها لفهم النصوص والخطابات انسجمت بجهازها المفاهيمي مع ثقافنا العربية لانطلاقها من المدونة التراثية ومن مناهجها ومباحثها ثم استثمارها على ضوء الدراسات الحديثة العربية منها والغربية.

- ✓ في كتابه تقابلات النص وبلاغة الخطاب يعتبر هذا الأخير من أهم الأعمال النقدية التي أحسنت توظيف المقاربة التأويلية التقابلية في فهم النصوص وتحليلها، إذ انصب اهتمامه على دراسة مجموعة من الخطابات استنادا إلى مبدأ التأويل التقابلي باعتباره استراتيجية قرائية لصناعة المعنى في مختلف النصوص والخطابات.

- ✓ إن استراتيجية التقابل روح جديدة وفلسفة تأويلية يمكن من خلالها تطعيم أية قراءة لأن التقابل خاصية كونية وطريقة في التأويل البشري صالحة لكل زمان ومكان.

ملحق:

لمحة عن محمد بازي:

أولا حياته ومساره الفكري:

محمد جلال الدين بازي كاتب ومفكر مغربي ولد في قرية" أولاد ميمون" وانطلقت مسيرته الدراسية من القرية نفسها إذ حصل على الشهادة الابتدائية في مدرسة تلك القرية، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة " بيوكرى" حاصلا منها على شهادة الباكالوريا وذلك عام 1989م، التحق بعد ذلك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة" ابن زهر" الواقعة في المدينة" أكادير" المغربية حيث نال منها شهادة الإجازة" الباكالوريوس" في اللغة العربية وآدابها عام 1993م.

وفي عام 1995تخرج من المدرسة العليا للأساتذة في مدينة مراكش ليلتحق بالتدريس الثانوي، ثم تابع بعد ذلك دراساته للحصول على دبلوم الدراسات العليا عام 1999م، في جامعة محمد خامس الواقعة في مدينة الرباط، وذلك عن رسالته الموسومة ب:" النص واستراتيجيات التأويل مقاربة في خطاب التفسير" ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب عام2006م من الجامعة نفسها، بأطروحته الموسومة ب " التأويلية العربية: تجليات التساند ومستويات انفتاح السياق"، إلى جانب ذلك تحصل على شهادة من برنامج تعميم تقنيات المعلومات والاتصال عام 2007م.

في عام 2009م، حصل بازي على شهادة التبريز في اللغة العربية، كما شغل هذا الأخير مهام عدة في سلك التعليم الثانوي والجامعي، منها: أستاذ الأطر التربوية والإدارية بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين في مدينة" أنزكان"، وشغل منصب رئيس فريق علوم الخطاب ومناهج تدريب اللغات والآداب في مدينة" أكادير"، ورئيس شعبة اللغة العربية بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين في مديني" إنزكان وأكادير".

ثانيا مؤلفاته والجوائز المتحصل عليها:

إن محمد بازي كاتب وباحث توزعت اهتماماته وتنوعت بين التأويلية بامتداداتها الغربية والعربية، اضافة إلى البلاغة وتحليل الخطاب ومناهج تدريب اللغات والآداب ثم الكتابة الأدبية، ولهذا تنوعت مؤلفاته وتعددت مواضيعها بين الأعمال الأدبية والنقدية وحتى علوم التربية ومن ذلك نذكر:

- التأويلية العربية، نحو النموذج التساندي في فهم النصوص والخطابات.
- تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي.

ومن أبرز الجوائز التي نالها البازي نذكر: جائزة المغرب في حقل الدراسات الأدبية والفنية عام 2010م، والجائزة الأولى لمسابقة الألوكة في المقال النقدي عام 2012م، وجائزة التميز عام 2013م، وجائزة النادي الثقافي العربي سنة 2016م.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

ثانيا: المراجع

1_ ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، المطبعة الأزهرية، القاهرة، 1301هـ.

2_ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، عبد السلام هارون.

3_ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط6، 1997م، مادة:" نصص".

4_ ابو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سركيس، طبعة الخانجي، القاهرة، 1954م.

5_ أبي هلال العسكري، الصناعتين للكتابة والنشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401هـ، 1981م.

6_ الأزهري: معجم تهذيب اللغة، تح: عبد السلام هارون، ط1، القاهرة 1964م.

7_ بشير عزوزي: المحاضرة الأولى" الجهاز المفاهيمي".

8_ بشير عزوزي: المحاضرة الرابعة:" بلاغة التأويل والمؤول وانسجام والتأويل في مقياس بلاغة التأويل، ص17.

9_ السعيد ضيق الله، نظرية التأويل التقابلي- الانبثاق التصوري، وآليات التجسيد النصي، جامعة الجزائر، المجلد 3، العدد 8، 2018م.

10_ عبد الرحمان الثعالبي، الصحابي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، د ط، مكتبة المعارف.

11_ فرحان بدري غربي: الاسلوبية في النقد العربي الحديث، (دراسة تحليل الخطاب)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003م.

12_ محمد العبد: اللغة والإبداعالأذلي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع/ ط1، 1989م.

13_ محمد بازي: التأويلية العربية، نحو نموذج التساندي في فهم النصوص والخطابات، الدار العربية للعلوم، بيروت منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011م.

14_ محمد بازي: تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو التأويل التقابلي، دار العربية للعلوم والنش، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزار، ط1، 2010م.

15_ محمد بازي: نظرية تأويل تقابلي: مقدمات لمعرفة بديلة للنص والخطاب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2013م.

16_ محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1986.

17_ مهدي صالح السمراني، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، المرجع السابق.

18_ ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدلي، المركز الثقافي العربي، ط3، لبنان، 2003م.

19_ نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وأليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط7، المغرب، 2005م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر	
اهداء	
مقدمة	أ
مدخل: البلاغة والتأويل المصطلح والمفهوم	
أولا البلاغة لغة واصطلاحا:	5
1-1 البلاغة لغة:	5
1-2 البلاغة اصطلاحا:	5
ثانيا التأويل لغة واصطلاحا:	6
2-1المعنى اللغوي للتأويل:	6
2-2 التأويل اصطلاحا:	8
2-3 التأويل في القرآن الكريم:	9
ثالثا بلاغة التأويل:	11
3-1 مفهوم بلاغة التأويل:	11
3-2 مشروع بلاغة التأويل:	11
رابعا التأويل التقابلي:	12
4-1 مفهوم التأويل التقابلي:	12
4-2 مراحل تكوين التأويل التقابلي:	12
4-3 التأويل التقابلي عند محمد بازي:	13
الفصل الأول: مطارحات نظرية	
تمهيد	16
الألواح التقديمية	17
1-1 المسلك الأول:" مقدمات لنظرية تأويلية تقابلية موسعة"	18

1-1-1 التصور والفروض	19
1-1-2 بناء النظرية	20
1-1-3 في فهم حقيقة الكون والوجود عبر التقابل	20
1-1-4 ما النموذج	21
1-2 المسلك الثاني:" سيمياء التقابل وكيمياء التأويل"	22
1-2-1 الكون المتقابل ونظرية الفهم:	23
1-2-2 أسس النظرية	24
1-2-3 الوجود والمعنى، أيهما أسبق	24
1-2-4 ماذا نقصد بالتأويل؟ والتأويل التقابلي؟	24
1-2-5 التقابلات الأفقية والعمودية:	25
1-3 المسلك الثالث:" الفهم بالتقابلات"	25
1-3-1 التساوق وتقابل السياقات	26
1-4 المسلك الرابع:" الأسناد المعرفية لنظرية التقابل"	27
1-4-1 تقابل الحقيقة والمجاز وأدواره في التأويل التقابلي	27
1-4-2 أساس البلاغة وأساس التأويل	28
1-4-3 التقابل، الاستناد، الخبر والقصدية	29
1-5 المسلك الخامس:" الأساس التقابلي في البلاغة العربية"	30
1-5-1 التقابل الخفي في البنيات التشبيهية	30
1-5-2 البعد التقابلي في التمثيل	31
1-5-3 التقابل الخفي في أساليب بلاغية أخرى	31
1-6: المسلك السادس:" من بلاغة النص إلى بلاغة الخطاب"	33
1-6-1: الكون المتقابل	33
1-6-2: الكون المتقابل في القرآن الكريم	33
1-6-3: التقابل وتطالب المعاني	34
1-7 المسلك السابع:" التقابل رؤية للذات والعالم".	35
1-7-1 تعريف النص وفق التصور التقابلي	36

أولا: التقابلات المؤطرة الكبرى للرواية	36
1-1 تقابل نص الرواية والتاريخ والمجتمع والذات	37
1-2 التقابل بين المؤلف والنص والقارئ	37
1-3 تقابل النص والسياق	37
ثانيا: التقابلات الصغرى في النص الروائي	38
2-1 التقابلات اللغوية	38
2-2 تقابل الأمكنة والأزمنة	38
2-4 تقابل الوصف والسرد	39
الفصل الثاني: الآليات القرائية لأطروحة التقابل	
تمهيد:	41
أولا: حول الكتاب	42
1-1 بينة الكتاب	42
1-2 العنوان	42
1-3مقدمة الكتاب	45
ثانيا قراءة في فصول الكتاب	46
2-1 الفصل الأول: الخطاب القرآني.	46
2-2 الفصل الثاني: الخطاب الفكري: التقابل وبلاغة الحجاج في كتاب" احياء علوم الدين للغزالي".	58
2-3 الفصل الثالث: التقابلات النصية وأثرها في بلاغة الخطاب الشعري	60
2-3-1 مطلع القصيدة (الأبيات من 1-5)	60
2-3-2 الزفرة والقناع الأبيات من (6-9)	60
2-3-3 الظبية السانحة الأبيات من (10-24)	61
2-3-4 القيم المتروكة الأبيات من (28- 36)	61
2-3-5 الصدى وصداه الأبيات من (37-43)	62
2-3-6 عندما يبكي الحصان صاحبه من الأبيات (25-27)	62
2-3-7 مالك الذي لا يملك الأبيات من (57-65)	63

2-3-8 نسوة لو شَهِدْنَني الأبيات من (57-65)	64
2-4 الفصل الرابع: تقابلات النص وبلاغة الخطاب الشعري الحديث:" قصيدة نسر لعمر أبي ريشة"	64
2-5الفصل الخامس: "الخطاب التأويلي"	65
2-6 الفصل السادس "البناء التقابلي في خطاب الحكمة"	68
خلاصة الفصل الثاني	69
خاتمة	71
ملحق	74
قائمة المصادر والمراجع	77
فهرس المحتويات	80
ملخص	

ملخص:

سعى الكاتب محمد بازي من خلال مؤلفه هذا إلى تأسيس جمالية تأويلية تعتمد على الطاقات الدلالية والمعنوية التي تختزلها اللغة والتركيب في نصوص مختلفة وعلى التقابل الذي يشكل العمود الفكري لأنساق التواصل، من خلال مجاورة المعاني بعضها ببعض والتقريب بينهما على مستوى التصور والتعرف والإدراك تبعا للعلاقات والبنيات البلاغية وعلى إثر ذلك عد التأويل التقابلي بحق استراتيجية وآلية فعالة لصناعة المعنى وفهم النصوص والخطابات وتفهيمها.

فبعد أن كان التقابل مبحثا يخدم تساندية الدوائر الصغرى والكبرى أصبح تصور الكون المتقابل الذي ينعكس على مرآة العقل المفكر بالتقابل لينتج النص المتقابل في بنيته مستدعيا التأويل التقابلي لإعادة قراءته شريطة أن يكون هناك المؤول البليغ الذي تحققت فيه الكفاية التأويلية.

في كتابه تقابلات النص وبلاغة الخطاب يعتبر هذا الأخير من أهم الأعمال النقدية التي أحسنت توظيف المقاربة التأويلية التقابلية في فهم النصوص وتحليلها، إذ انصب اهتمامه على دراسة مجموعة من الخطابات استنادا إلى مبدأ التأويل التقابلي باعتباره استراتيجية قرائية لصناعة المعنى في مختلف النصوص والخطابات.

الكلمات المفتاحية:

التأويل ، التقابل ، محمد بازي، المنطلقات ، الآفاق

Through this book, the writer Mohamed Bazi sought to establish an hermeneutical aesthetic that depends on the semantic and moral energies that language and structure reduce to different texts and on the correspondence that constitutes the intellectual pillar of communication formats, through the adjacency of meanings to each other and bringing them closer at the level of perception, recognition and perception according to relationships and rhetorical structures, and as a result, contrastive interpretation is truly considered an effective strategy and mechanism for making meaning and understanding and understanding texts and discourses.

After the correspondence was a topic that serves the support of minor and major circles, the perception of the opposite universe, which is reflected on the mirror of the thinking mind by contrast, became to produce the opposite text in its structure, calling for contrastive interpretation to re-read it, provided that there is an eloquent interpreter in which the hermeneutical sufficiency has been achieved.

In his book The Correspondences of the Text and the Rhetoric of Discourse, the latter is considered one of the most important critical works that have employed the contrastive hermeneutical approach in understanding and analyzing texts, as his attention was focused on studying a set of discourses based on the principle of contrastive interpretation as a reading strategy for making meaning in various texts and discourses.

Keywords:

Interpretation - correspondence - Bazi Mohamed - premises - horizons